

حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها





الطبعة الأولى 2001

محمد قشتيليو

حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها

الطبعة الأولى 2001

الكتــاب : حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها

المؤلــف : محمد قشتيليو

رقم الإيداع القانوني : 2001/1407

الطبعة الأولى سنة : 1422 هـ (2001م)

الممون : نفس المؤلف

الطبع : مطابع الشويخ - تطوان. تلفون : 09 50 96 039.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن السبب الرئيسي الذي حملني على التنقيب والكتابة في هذا الموضوع راجع إلى دافعين أساسيين :

1- رغبة عدد من طلاب الجامعات بالمغرب في الحصول على معلومات عن الموريسكوس يستعينون بها في أبحاثهم من خلال إصداراتي السالفة «محنة الموريسكوس في إسبانيا» و«تأثير الفن العربي المدجن في حياة الإسبان»، فهذان الكتابان نفذت نسخهما، وإعادة طبعهما يعد أمرا صعبا بالنسبةلي، حيث أن الأول طبع على نفقتي الخاصة، والثاني من طرف دار للنشر، اختفت وأقفلت أبوابها.

2- حصولي على معلومات جديدة تتعلق بالهجرات الأخيرة للموريسكوس من إسبانيا إلى المغرب، وخاصة مدينة تطوان في أواخر القرن السابع عشر.

إن هدفنا السامي هو خدمة العلم في الدنيا ونيل الرحمة والرضوان في الآخرة عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، أو ولد يدعو له أو علم ينتفع به».

وقد ارتأينا أن نطلق على هذا البحث اسم : «حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا ودورهم خارجها». فما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مقدمة

إن الأمة الإسلامية الإسبانية التي أطلق عليها اسم الموريسكوس قد لعبت دورا هاما في إسبانيا قبل أن تطرد كليا ويصفى أثرها نهائيا من شبه الجزيرة الإيبيرية بعد قرن ونصف من الزمن، أقامته بأرضها بعد سقوط غرناطة، فقد كانت هي العمود الفقري في الحياة بشتى أنواعها وخاصة منها الاقتصادية، فبعد خروجها من إسبانيا في أواخر القرن السابع عشر، انهار الاقتصاد وتدهورت الصناعة وعمت الأزمات بجميع أشكالها، وحل الفقر محل الغنى والجوع محل الشبع، والبطالة محل العمل إلى غير ذلك، وهذا ما أكده بعض الباحثين الإسبان مثل : «خوليو كاروباروخا» في كتابه «موريسكوس مملكة غرناطة» حيث يقول : انه من المؤكد أن مدينة ألمرية ونواحيها ظهر فيها فتور اقتصادي طوال القرن السابع عشر بسبب الصدمة التي منيت بها الصناعة التقليدية والفنية التي أصبح يلاحظ تقلصها من جراء الهيمنة الاقتصادية على البلاد علي يد القشتاليين الذين عملوا على قطع كل العلاقات المادية بجميع أنواعها بطرق وحشية مع الشمال الإفريقي، هذه العلاقات التي توطدت منذ قرون. ويضيف نفس المؤلف : فالحياة الاقتصادية كما هو معلوم لم تكن تخص تبادل الإنتاج الإقتصادي فقط بل كانت تخص أيضا العلاقات بين الأشخاص الذين يعملون من أجله وينشؤونه وينموه - انتهى كلام المؤلف.

بعد قطع الصلة بين الضفتين بطرد العنصر الإسلامي، غادر

الموريسكوس بلادهم متوجهين إلي عدة أقطار في إفريقيا، وأوربا وآسيا، لكن المغرب هو الذي أخذ حصة الأسد لقربه من شبه الجزيرة الإيبيرية، وللعلاقات العائلية التي كانت موجودة بين سكان الضفتين. فكان كل من الأندلسي والمغربي تجمعهما المصاهرة، فأحيانا كان أحد العنصرين يقضي يومه في ضفة ثم يعود ليلا إلى زوجته في الضفة الأخرى، فلم تكن هناك حدود سياسية، فبلاد الإسلام كانت واحدة، فلذلك ذهب الموريسكوس بأولادهم وصناعتهم وخبرتهم إلى الضفة المغربية، واستوطنوا بها، وخاصة بمدن الشواطئ كتطوان والرباط وسلا. فكانوا يأتون بنية الجهاد لكونهم كانوا خبراء في أمور الجيش والبحر. وبعد استقرارهم قاموا بأعمال شتى في جل ميادين الحياة، وسنتطرق في هذا البحث لبعض منها.

لقد كانت محاربة الموريسكوس بالدرجة الأولى من طرف الكنيسة حيث وقفت لهم بالمرصاد، ولم تكن تنظر إليهم بارتياح نظراً لتشبثهم بالعوائد الإسلامية، وإن كانوا قد تنصروا تحت الضغط، ولكن في مظهرهم فقط «ألا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان».

حاولت الكنيسة إضعافهم والتقليل من سطوتهم بل والقضاء عليهم وإفناءهم، فألحت غير ما مرة على الملك بأن يطردهم من مملكة غرناطة، وقد كان هذا وقت الملك كارلوس الخامس في سنة 1526، كما ألحت الكنيسة كذلك على مجلس الكورطيس في هذا الشأن سنة 1565، وتم هذا من طرف الجماعة العليا للقساوسة الذين اجتمعوا وقرروا أن كل غازي سواء كان حرا أو أسيرا أو

رقيقا موجودا بتلك المملكة فإنه لا يصلح إلا لتعليم قرآن محمد وتقاليد وعوائد الموروس أو تعاليم من بربريا (أي بلاد المغرب).

ويقول الباحث نيكولاس كابريرا «لا ينكر أن الكنيسة كانت تعرف وتقدر القوة الروحية والأخلاقية للموريسكوس» لقد كان المنصفون من النصارى يعرفون قيمتهم وخاصة الأغنياء والنبلاء حيث كان عدد كبير من الموريسكوس يوجدون في خدمتهم، فكان هؤلاء الأغنياء يتباهون بهذا، ومنهم من يقول : عندي الأورو والمورو أي الذهب، والموريسكي.

على كل حال فقد أتينا بهذه العجالة كمقدمة ليتضح للقارئ أن الموريسكوس لم يكونوا وحدهم الخاسرون من جراء قطع الصلة بين الضفتين، بل الإسبان كذلك، وقبل أن نتطرق لدور هذه الأمة خارج وطنها، سنحاول أن نستعرض آخر نشاطاتهم في بلدهم الأصلي، وما كانوا يقومون به في عدة ميادين، وقد اعتمدت في ذلك على مراجع حديثة لمؤلفين إسبان من الجيل الحالي الذي تفتح على الحقائق وتحرر من عصبية الكنيسة المقيتة واعترف بما هو مدون في الوثائق التي كانت مغمورة ومطمورة في روافد خزانات الكنائس ومحظورة على الباحثين النزهاء والعلماء الأجلاء.

حياة الموريسكوس الأخيرة بإسبانيا

I- نظرة شاملة عن وضعيتهم الاجتماعية والدينية

اتبع النصارى سياسة التبشير اتجاه الموريسكوس لتنصيرهم، لكن بعض الحاكمين لم ينتظر نتيجة التبشير الذي كان يطبق بل استعملوا العنف والإرهاب للقضاء على الموريسكوس، ونذكر في هذا السياق ما قام به الكاردنال ثسنيروس الذي ارتكب أفظع الجرائم، ففي ناحية جبال البوشرات قام أحد معاوني هذا القس المجرم وهو الكوندي دي ليريا بتحطيم مسجد على من بداخله، وقام بذبح الرجال وبيع النساء والأطفال كرقيق.

بعد إفراغ الأراضي من أصحابها الموريسكوس عملت الحكومة على استقدام نصارى قدماء من نواحي إسبانيا لتعمير هذه الأراضي، فقدموا مصحوبين بالجيش، ومنحت لهم الأراضي الفلاحية بواسطة مراسيم ملكية صادرة عن الملوك الكاثوليك كما أن وضعيتهم أصبحت كموظفين من قبل الإدارة القشتالية، وصار هؤلاء المهاجرون الجدد كجزء من سلالات آرية وكاثوليكية وسط بحر من أناس ينتمون إلى أصل عربي أو بربري. وقد أتى هؤلاء المعمرون بعادات جديدة كما كانوا يحسبون أنفسهم أعلى وأسمى من غيرهم، ويتباهون بعوائدهم وديانتهم، كما كانوا يتعاطون للفن وركوب الخيل إلى غير ذلك، لكنهم لم يكونوا يقومون بالأعمال المتعبة، مثلا الزراعة، فكان أن نتج عن ذلك نزول ملحوظ في الإنتاج، فعم القحط والكساد، وخاب بذلك ظن

المسؤولين السياسيين باتخاذهم قرار طرد اليد العاملة الموريسكية وتعويضها باليد العاجزة من نصارى قشتالة وليون وغيرها من المقاطعات الشمالية التي لم يكن أهلها يتعاطون مهنة الفلاحة ولا يقدرون على تحمل التعب الناتج عنها.

رغم تنصر بعض الموريسكوس، كانوا يعاملون معاملة التمييز العنصري، فكان النصراني القديم يحسب نفسه أسمى وأشرف من النصراني الجديد، وكان هذا التمييز يطبق حتى في الوثائق الرسمية والمعاملات القضائية وكذلك الأمور الدينية التي تديرها الكنيسة ولو أن الأمر يتعلق بنصارى (أي الموريسكوس المتنصرين). وإذا حدث أن حررت شهادة بأسماء متشابهة بين نصراني قديم وآخر جديد وأخفي ذلك على الموثق أو على السلطة، يلزم القانون النصراني الجديد بأداء ذعيرة للنصراني القديم، وكانت هذه الذعائر تمثل عبئا ثقيلا على الموريسكوس مقارنة مع مستوى معيشتهم.

ووصلت الضغينة بين المجتمعين إلى كون أن تاجر الحبوب البسيط مثلا يحتج وبشدة إذا حصل وتشابه اسمه مع موريسكي. أما بالنسبة للطبقة الأرستقراطية فالبون أصبح شاسعا بينها وبين الموريسكيين.

فنظرا لما سلف ذكره، أصبح المورسكوس منبوذين في أرضهم رغم كونهم كانوا قد غدوا مندمجين في المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه حيث أن التفريق بين المورسكي والنصراني كان من الصعوبة بمكان لغة وهنداما ودينا. فالنصراني القديم يحسب نفسه هو المسيطر والمحرر للأرض . كان النصارى القدماء يعملون

كل ما في وسعهم لاكتشاف الموريسكي أو النصراني الجديد حتى لا يقع التباس ويعامل هذا الأخير معاملة عادية، فكانوا يظنون أن البعد عن الموريسكي واجب للمحافظة على نقاء دمهم، وكمثال على ذلك : في عام 1564 أوصى أحد نصارى ألمرية وكان من أكبر ملاكي الأراضي بالمدينة أن لا يتزوج من سلالته أحد من نصرانية جديدة أو موريسكية أو يهودية، وذلك بغاية المحافظة على عراقة أصله (حسب منظوره).

لم تؤدي هذه العقلية إلى النتيجة المتوخاة، بل عملت على التفرقة وابتعاد النصارى الجدد عن القدماء نتيجة المعاملة السيئة. فكان هذا عكس ما كان يريده الكاردنال طلابرا الذي كان يعمل على توحيد كل من دب على ديانته بعكس ما فعله الكاردنال ثيسنيروس.

أصبح الموريسكوس من جراء ما سلف ذكره متشبتين أكثر وأكثر بالعوائد الإسلامية مبتعدين بذلك كل البعد عن تقليد النصارى القدماء وبدأوا يتشبثون بالطقوس التي يجدون فيها هويتهم، كما أن ظاهرة جديدة طفت على السطح كما يروي ذلك المؤرخ «مارمول»، فقد أخذت مجموعة من الموريسكوس المحظوظين والذين كانوا يمتلكون أراضي زراعية في توحيد واجتذاب من كان يعمل معهم من مزارعين أو رقيق وهم أحرار من الموريسكوس فيكونون بذلك اتحادا يواجهون به أعداءهم على شكل ما يسمى في المغرب «العزوة»، وهي عبارة عن عشيرة لها رئيسها كما كان عند العرب في الجزيرة العربية.

وقد ورد عن بعض المؤرخين الإسبان أن هذه المجموعات

تنحدر من العهد الإسلامي وتبدأ أغلب ألقابهم بكلمة ابن كابن طابلا مثلا أو ابن گوازيل أو ابن طورافي إلخ...

وكما كان يلاحظ أيضا بمدينة ألمرية مجموعة تدعى واطا "wata"، وهي عشيرة موريسكية من أصل غرناطي فضلت التنصر على أن تغامر بالذهاب إلى شمال إفريقيا كما فعل أبو عبد الله وبعض العشائر الأخرى، وكان رئيس المجموعة السالفة الذكر ويدعى ضون ألونصو أبيز، يتمتع بتقدير واحترام الموريسكوس لكونه من سلالتهم، كما كان يحظى أيضا بتقدير من الملك فعينه حاكما على ألمرية. وقد فكر الموريسكوس في ترشيحه ملكا عليهم أثناء ثورتهم الشهيرة بجبال البوشرات بضواحي غرناطة عام 1568.

غير أن الموريسكوس المتمتعين بالثروة فضلوا الابتعاد عن كل ما له صلة بالسياسة، فبقوا بذلك محتفظين بقصورهم وعقاراتهم، مع المحافظة كذلك على عوائدهم الإسلامية. ومن بين ما يحكى عنهم أنهم كانوا يملكون عبيدا سودا، فكانوا يحررون البعض منهم ويعطونهم المال والعقار بل منهم من كان يرتبط بهم بالزواج. ومن بين هؤلاء بعض المرتزقة رحلوا من إفريقيا إلى إسبانيا لمساعدة الموريسكوس في حربهم ضد الملوك الكاثوليك، فاستقروا هناك واندمجوا مع الموريسكيين وقد أطلق النصارى عليهم لقب «الغازي». كانت تصرفات الموريسكوس فيما يتعلق بالأمور الدينية في غاية كبيرة من السرية، ورغم ذلك يفتضح أمرهم في بعض الأحيان، إما اضطرارا أو بمحض الصدفة.

كان الموريسكوس يتعبدون خفية داخل بيوتهم أو في

مغارات داخل الجبال كما روى ذلك المؤرخ بدرو لونگاس. كما كانوا يعلمون أبناءهم سرا شؤون الدين الإسلامي، ولو أن بعض الفرائض كان يصعب تطبيقها كإيتاء الزكاة مثلا خوفا من افتضاح أمرهم. إلا أن أفراد المجتمع القروي الموريسكي كانوا يزاولون شعائرهم بأقل خشية من إخوانهم في الحواضر، فكانوا يصومون رمضان ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير. أما الموريسكوس الذين كانوا سجناء، فكانوا يؤدون واجباتهم الدينية بدون خوف، ويفضلون الموت استشهادا إذا اضطروا لذلك.

كان رجال الكنيسة بالمرصاد لكل ما له صلة بالشعائر الإسلامية وحتى يتضح هذا جليا للقارئ ندرج بعض ما قامت به الكنيسة.

لقد منعت الكنيسة استعمال «الحنة» لظنهم أن هذا الأمر هو من طقوس الموريسكوس الدينية، مع العلم أنها كانت عادة تستعمل في بعض الأقطار الإسلامية كالمغرب وتونس وغيرها سواء في الأعياد أو المناسبات العائلية أو حتى من الناحية الصحية. فالمسيحيون طبقوا المنع لكونها عادة تخص المسلمين، وكان هؤلاء كثيرا ما يستعملونها ويتباهون بها خاصة في الاحتفالات الخاصة بالأولياء في الأضرحة وهو ما يسمى في المغرب «بالعمارة». كما أن رجال الدين المسيحي كانوا يتضايقون من استعمال الموريسكوس للحمامات، فقد استمر استعمالها بألمرية مثلا إلى غاية القرن السادس عشر.

كان الموريسكوس يمتنعون عن أكل لحم الخنزير حيث لم يشَر ولو مرة واحدة في الوثائق الرسمية الخاصة بالفلاحة والماشية إلى

الخنزير. كما أنهم كانوا يقومون بذبح الأبقار والأغنام على الطريقة الإسلامية، فكان هناك رجل خاص يقوم بعملية الذبح حيث يضع الذبيحة اتجاه القبلة ويتركها حرة بعد الذبح حتى يستنزف دمها. كما كان الموريسكوس حريصون على أن يكون لهم في المجزرة مكان خاص بهم ودكان خاص به جزار منهم.

كان الموريسكوس يستعملون اسمين : اسم إسلامي، وآخر مسيحي، فالأول خاص بهم يتداولونه فيما بينهم بينما الثاني يستعملونه في الوثائق الرسمية والمعاملات الإدارية، وكانوا عادة يدلون بالاسمين معا لدى الدوائر الرسمية، وذلك ربما ذرءا لكل التباس. وفي غالب الأحيان استمر تداول الاسم الإسلامي فقط وخاصة لدى الطبقة الفقيرة والمتوسطة، كما أن كثيرا من الموريسكوس اتخذوا ألقاب أسيادهم أو الشخصيات التي كانوا في حماها. وغالبا ما كانت هذه الأسماء تنطق محرفة بعض الشيء وذلك حسب لهجتهم ولغتهم الأصيلة، وهذا ما وقع بالمغرب مثلا حيث ينطق بعض المغاربة أسماء بعض المستعمرين الإسبان محرفة، فإسطيبان ينطق شطيبا وأنطونيو طونيو إلى غير ذلك.

وكل ما أسلفنا ذكره موجود في وثائق رسمية تدل على التعامل في البيع والشراء وغير ذلك بالإسمين الإسلامي والمسيحي.

كان الموريسكوس بمملكة غرناطة يعتمدون الزواج على الطريقة الإسلامية كأداء الصداق مثلا. وجرت العادة بأن يجهز الآباء بناتهم بأثاث البيت، وكانوا كذلك يعطون إعانة لأزواج بناتهم لتخفيف العبئ عنهم، وتقدم الأشياء التي يأتي بها أب العروسة أمام الحاضرين حيث يقبلها العريس مبديا ارتياحه.

كانت عادة الموريسكوس أن يقيموا حفل الزواج في شهر شتنبر بعد جمع المحصول الفلاحي، وكانت هذه عادة أهل البادية التي كان معظم الموريسكوس مستقرين بها، الشيء الذي كان يسمح لهم باتباع العادات الإسلامية لأنهم بعيدون عن كل رقيب.

كانت طريقتهم في عقد النكاح هي الذهاب إلى مكتب أحد الكتبة العامين (بمثابة العدول بالمغرب)، فيذهب كل من العروس والعريس وأولياءهما والشهود المتفق عليهم. يقوم الكاتب العمومي بتدوين ما أعطي كصداق في وثيقة رسمية مخصصة لذلك بالتفصيل، حيث ينص على معدن الحلي مثلا ذهب أو فضة، وأصناف الثياب من حيث الشكل واللون والنوع (حرير، خيط، صوف...).

واستنادا إلى وثائق الصداق التي تنص على شكل الثياب أجمع المؤرخون على أن النساء الموريسكيات حافظت على الهندام الإسلامي حتى سنة 1567. كما أنهم (أي المؤرخين) لم يعثروا على أي أثر في الوثائق الرسمية لأي رمز مسيحي كصور القديسين مثلا كما كان الشأن بالنسبة لزواج المسيحيين. وهذا دليل قاطع على أن الموريسكوس لم يكونوا في أغلبيتهم في يوم من الأيام نصارى حقيقيين.

ونظرا لهذا أصدرت الملكة «خوانا» في سنة 1511 مرسوما يمنع الخياطين من مزاولة الخياطة على الطريقة الموريسكية. وفي سنة 1513 مُنعت المرأة الموريسكية من الخروج متحجبة، وكذلك فعل الملك كارلوس الخامس سنة 1526. ورغم كل هذا حاول الموريسكوس بكل الوسائل إبقاء زيهم الإسلامي التقليدي مزخرفا

بألوان زاهية على عكس لباس النصارى الذي كان قاتم اللون. وقد وصف بعض المؤرخين الإسبان لباس نساء الموريسكوس كما يلي: «كانت الموريسكيات تستعمل «الصايا» أو «الفالضا» من ثوب الملف، وقمصانا مقبوضة بالسراويل التي تصل إلى الكعب وسلهام طويل يصل إلى نصف الرجلين، وجوارب مزخرفة ومطروزة بالحرير».

وكانت الموريسكيات ترسلن إلى شمال إفريقيا في طلب بعض الملابس والحلي لفقدانها بإسبانيا.

أما الرجال فقد بدأت طريقة القشتاليين في اللباس تغزوهم تدريجيا.

كان الموريسكوس يحضرون لزوجاتهم نساء موريسكيات لمباشرتهم أثناء وضع المولود، كما كان الموريسكوس يتركون وصية قبل وفاتهم بأن يدفنوا بمقبرة النصارى الجدد لأنهم كانوا يرفضون أن يدفنوا مع النصارى القدماء. أما بألمرية فقد كانت هناك مقبرة خاصة بالموريسكيين، ولكن بهذا الصدد لم أعثر بتاتا على كلمة مقبرة لدى المؤرخين الإسبان بل بكلمة أو عبارة مكان خاص، ربما لكون المقبرة كانت لها صفة رسمية ومعترف بها من طرف الحكومة التي كانت ترفض ذلك.

عمل معظم الموريسكوس المنتمين إلى الطبقة الأرستقراطية على أخذ الثقافة القشتالية، فتعلموا القراءة والكتابة باللغة المذكورة، وصاروا يوقعون بالحروف اللاتينية. أما الفقهاء منهم فكانوا متمسكين بثقافتهم الإسلامية، يحفظون القرآن الكريم ويلقنونه إلى جانب اللغة العربية سرا إلى بعض تلامذتهم. كما كانوا يوقعون الوثائق الرسمية بالحروف العربية. أما سكان القرى

من الموريسكوس وهم الأغلبية بها عدا القس المشرف على الكنيسة ومساعدوه، فكانوا يجهلون اللغة القشتالية من حيث القراءة والكتابة والمحادثة.

وكما ذكر مؤرخون إسبان فإن معظم موريسكي ألمرية كانوا يجهلون اللغة القشتالية. فكانوا يسلمون وثائقهم لمترجم ليبين لهم مضمونها، وكان هذا هو مصدر عيش هؤلاء المترجمين، فكانوا يضعون مكاتبهم رهن إشارة من يريد ترجمة وثائقه كما هو الحال الآن مع المترجم المحلف.

لكن في أواسط القرن السادس عشر. بدأ الطلب يقل على الترجمة نظرا لكثرة العارفين باللغة القشتالية وبين هذه المرحلة وتلك مرت فترة كان الموريسكوس فيها يضعون إمضاءهم بلغة تسمى الخميادو[1]، وحسب المؤلف كابريرا فإن هذه اللهجة كانت متداولة في القرى والبوادي.

ومما كتب المؤرخ نيكولاس كابريانا في هذا الصدد : انه من المؤسف أن نرى أن اللغة العربية المستعملة في الكلام هي التي بقيت سائدة أما المكتوبة فقد اندثرت شيئا فشيئا بسبب منعها رسميا خاصة مع مرور القرن السادس عشر (رغم وجود حتى حدود 1529) من الموريسكوس من كان يوقع بعض الوثائق العدلية بالحروف العربية، ومن هؤلاء : دييكو لوبيث البهاري، وغيره كثيرون. ويضيف نفس المؤلف : «كانت هناك مدارس قرآنية سرية يدرس فيها بعض الفقهاء الحروف العربية وتعاليم القرآن مما كان

1- الخميادو : بالإسبانية محرفة العجمي : كان الموريسكوس يكتبون الإسبانية بالحروف العربية. «كتاب محنة الموريسكوس بإسبانيا».

يشكل دعامة لثقافة محظورة تعيش في المخابئ، أحرقت كتبها على يد الكاردنال ثسْنيروس، وقد انتشرت الأمية بين الموريسكوس خاصة في السنوات الخمسينية من القرن السادس عشر. ونظرا لهذا وجد المسؤولون أيام فليبي الثاني صعوبة في ترتيب وتصنيف الكتب العربية في مكتبة الاسكوريال نظرا لندرة من كان يعرف اللغة العربية، وبالتالي يفهم مضمون الوثائق الآتية من الأقطار الإسلامية. وأصبحت اللغة العربية ينظر إليها كشيء غريب رغم أنها كانت السائدة من قبل في الأندلس.

ويحكى في هذا المجال أن فليبي الثاني بعث إلى المدعو ألونصو ديل كاسطيو وذلك عام 1582 ليقوم بترجمة الرسائل والكتب العربية وذلك بمرتب عال قدره مائتي دوكادوس سنويا. وقد أتى ألونصو هذا من لشبونة بالبرتغال التي كانت خاضعة للملك فليبي الثالي وهو خال ضون سباستيان ملك البرتغال الذي مات في معركة وادي المخازن قرب مدينة القصر الكبير. واستمرت وحدة البرتغال وإسبانيا مدة ستين سنة. وكان ألونصو كاسطيو يدعى الترجمان الموريسكي الغرناطي.

إبان المرحلة التي نحن بصددها كانت هناك شخصية تمثل صلة الوصل بين الموريسكوس والنصارى القدماء وهي «الكوازيل» وهو رجل يتقلد منصب رئيس الأمن. وكانت هذه المهمة تورث أبا عن جد[1] بمرسوم ملكي للعائلات التي ساهمت في حرب الملوك

1- عند زيارتي لغرناطة أثناء وضع الحجر الأساسي لبناء مسجدها في أبريل 1996 جرى بيني وبين عمدة المدينة حديث فقلت له أني أعرف عمدة المدينة حينما زارها مولاي الحسن بن المهدي أيام الحماية. فقال لي ذاك أبي. فذكرني بمهمة الكوازيل. ولو أن مهمة العمدة ليست متوارثة.

الكاثوليك، ويقال أن هذه المهمة تقلدها بعض المسلمين الذين أبدوا ولاءهم للتاج الإسباني ومقابل ذلك كانت تمنح لهم بعض الامتيازات كأملاك الأحباس التي كان من المفروض أن تحول إلى ملكية الكنيسة. أما من لم يبد ولاءه فكان يحرم من التمتع بالأملاك المذكورة.

كان لكل مجموعة موريسكية رئيسها، وكان العمل الحاسم الذي يقوم به هو محاولة الدفاع عن حقوقهم أمام المجلس الأعلى الذي يوجد به ممثل للموريسكوس أي النصارى الجدد.

وكان وكيل الموريسكوس يقوم برفع شكاويهم إلى المجلس حتى يتوقف هضم حقوقهم، وقد ساهم هذا في تمتين العلاقة بين الموريسكوس، الذين كانوا ينظرون إلى بعضهم البعض كأسرة واحدة حتى من وجد منهم في شمال إفريقيا أو تركيا[1] حيث كانت علاقة هؤلاء بموريسكيي إسبانيا سرية.

II- وضعية أراضي الموريسكوس الفلاحية

كان الموريسكوس هم الخبراء بميدان الفلاحة، وكانت الدولة تعتمد عليهم في هذا المجال، لكن النصارى القدماء وبعد قدومهم من جميع أنحاء إسبانيا صاروا يسطون على الأراضي الفلاحية التي كانت في ملك الموريسكوس وصارت الدولة توزع المزارع على النصارى القدماء رغم أنهم لا دراية لهم بفن الزراعة، فنشأت من

1- لقد هاجر كثير من الموريسكوس إلى تركيا التي كانت أعظم دولة في ذلك الوقت فكان الموريسكوس يرجون الخير منها حتى انهزمت في المعركة البحرية قرب جزر الباليار المعروفة بمعركة لبانطو، فانهار الأمل أنظر (كتاب محنة الموريسكوس بإسبانيا).

جـراء هذا حـرب باردة بينهم وبين الموريسكوس لا يهـدأ أوارها وخـاصـة بسبب الأراضي السقـوية لأنهـا مـورد عيش الجـميع لأن الصناعـة في ذلك الوقت لم تكن تدر ربحا كبيرا كما هو الشأن في زمننا هذا، وكـان هذا من الأسـبـاب التي كـانت تدفع بعض الموريسكوس إلى ترصـد الفـرصـة الملائمـة للقـيـام بالثـورة الشيء الذي كـان يأخـذه النصارى للانتقـام منهم، وطردهم من أراضيهم، فـأضحى النصارى القـدماء هم الملاكين الكبار للأراضي الفـلاحيـة ومزارع الزيتـون، كما أصبحت الكنيسة من أكبر المستفيدين من ذلك الوضع. ولم ينج من هذا حتى أملاك أحباس المساجد، كما استفاد أيضا العسكريون وخاصة منهم جنود المدفعية الذين كانت لهم ميزة خاصة لأن المدفع كان له قيمة خاصة في ذلك الوقت. كما أن بعض الأراضي بقيت في ملك بعض الموريسكوس الذين كانوا حلفاء ومخلصين للتاج الملكي.

وبرزت ظاهرة أخرى هي أن بعض النصارى كانوا يشترون الأراضي من الموريسكوس بأبخس الأثمان (بإجبارهم على ذلك) ثم يبيعـونهـا بأثمـان باهضـة، أو يقـومـون بكرائهـا للمـوريسكوس (ويسمى هذا بالمغرب بالكزا)، فـأصبح الموريسكوس من جراء هذا فـقـراء مـعـوزين لا مـجـال لهم للاحـتـجـاج لأن النصـارى كـانوا يهـددونهم بـاللجـوء إلى محـاكم التفـتيش التي كـانت بمثـابة سيف متسلط فوق رؤوسهم.

III- قضية استغلال الماء عند الموريسكوس

في عام 1537 أراد المسؤولون بألمرية أن يضعوا حدا للفوضى التي كانت تحيط بقضية توزيع الماء الخاص بالسقي، فحاولت الكنيسة أن تحسم الأمر وتتدخل لتحصل على حقوقها القديمة. فكونت ملفا واستدعت لهذا الغرض ثلاثة موريسكيين حسب تقدمهم في السن لكونهم على اضطلاع بطريقة توزيع المياه ويتعلق الأمر بكل من : ألونصو دي فلفيس، شرطي سامي بألمرية وعمره 63 سنة، مارتين لاثو فلاح عمره 73 سنة، لويس أرووِيس حداد عمره 80 سنة (وهؤلاء كانوا من النصارى الجدد) وكانت المعلومات التي أدلى بها هؤلاء الأشخاص في غاية الأهمية نظرا لكونهم كانوا يعرفون مدينة ألمرية حق المعرفة سواء في عهدها الإسلامي أو إبان الاحتلال النصراني. كما أنهم كانوا على دراية تامة بمشكل توزيع المياه. لأن مدينة ألمرية لم تعرف مشكل توزيع المياه أيام المسلمين لكونهم عرفوا كيف يستغلونه رغم وجود المدينة في منطقة شاسعة وجافة.

لم تكن بألمرية عيون ولا نهر. وكان مصدر الماء هو الآبار حيث يستخرج منها بواسطة النواعر (السواني بالمغرب) وكميته كانت ضئيلة كما أن العملية كانت تتطلب مجهودا كبيرا. وقد تمكن موريسكي وكان يدعى «أخرين» من اكتشاف منبع هائل تحت الأرض. ضم إلى منبع آخر اكتشفه موريسكي آخر كان يدعى «جصف». وقد قاموا بتحبيس هذا الماء على الجامع الكبير بألمرية وأصبح مسيرا من طرف القاضي والفقيه. وهما اللذان يعينان حكام الماء. فتبدلت أحوال المدينة وقاموا بتسخير الماء

بكيفية هندسية، فوضعوا السواقي والمجاري بكيفية فنية عجيبة حتى صار الماء يصل إلى السواقي العامة وإلى المساجد قصد الوضوء للمصلين.

كان الماء يقسم إلى ثلاثة أقسام : قسم يسخر للسكن الحضاري، وقسمين لسقي الأراضي الفلاحية. أما أيام الجفاف فكان الماء كله يذهب إلى صهاريج المرية، وإذا فضلت منه كمية فتباع في المزاد العلني بعد صلاة الجمعة بحضور قاضي المدينة ورئيس شرطتها، ومدخول بيعه يسخر لبناء الحصون وتنظيف السواقي.

بعد احتلال المرية من طرف الملوك الكاثوليك أصبحت الكنيسة هي المتحكمة في مصلحة تسيير المياه لكونها (أي الكنيسة) هي وارثة المسجد الأعظم. غير أنه في سنة 1508 أصبح تسيير المياه في يد البلدية حيث أن الرئيس الديني رأى أنه من غير اللائق أن تستولي الكنيسة على أشياء تخص الأمور الدنيوية لأن ذلك حسب رأيه يحط من قيمة الهدف الروحي للكنيسة.

IV- نظرة عن المعاملات في ميدان الفلاحة

كان الموريسكوس يتعاملون أحيانا في ما بينهم بالشراكة، فإذا أخذنا ميدان الماشية مثلا، كان الموريسكي المالك للماشية يقوم بتسليمها لموريكسي آخر ليرعاها ويحرسها وبالتالي ليستفيد من منتوجها على أن يدفع للمالك بعد انقضاء المدة المتفق عليها نصف قيمة القطيع.

ومن الوثائق المحفوظة بالسجلات الإسبانية والتي يرجع عهدها إلى القرن السادس عشر، هناك ما يبين وجه المعاملات التي

كانت سائدة بين الموريسكوس والنصارى، وهذه الوثائق محررة من طرف عدول، وبها عدة تفاصيل تدل على تاريخ البدء بالعمل بها وصيغة التعامل في ما يخص الأراضي الفلاحية مثلا. كما تحتوي على أسماء ومهن الأشخاص المتعاملين بموجبها. وتوجد بها كذلك تفاصيل مدققة عن مساحة الأرض ونوع الزراعة الموجودة بها وحدودها بل وحتى أصل الأرض في الماضي.

كان أداء الأجور يتم نقدا أو بواسطة منتوج الأرض من زراعة أو طيور أو تبن أو خشب إلى غير ذلك.

كانت نسبة إيجار الأرض مبالغ فيها بالنسبة للموريسكوس إذا استأجروها من نصراني قديم، وهذا بطبيعة الحال إجحاف في حقهم (أي الموريسكوس). وكان دفع الإيجار بالمنتوج يتم في ليلة عيد ميلاد المسيح، وسبب هذا على ما يبدو هو أن يتسنى للنصراني القديم التمتع بمواد المنتوج الفلاحي في مناسبة عيد الميلاد. كما كان يتعين على المستأجر أن يوصل المنتوج إلى بيت صاحب الضيعة، وكان هذا يكلف الموريسكوس صعوبات ومشقّات جمة خاصة إذا كان مالك الأرض يسكن بعيدا لانعدام وسائل النقل ووعورة الطريق.

كان الموريسكوس في أغلبيتهم أميين لا يعرفون القراءة والكتابة، فكان غالبا ما يحضر ترجمان أثناء تحرير عقود الإيجار، ولكن رغم هذا ورغم بنود العقود تبقى حرية التصرف دائما لصالح النصراني القديم، فإذا أراد بيع الأرض يصبح عقد الإيجار لاغيا حتى ولو نص عقد الإيجار على عكس ذلك، فيضيع بذلك حق الموريسكي ويصبح بالتالي تحت رحمة وسيطرة النصراني القديم.

V- نظـرة عـن الحـالـة الاقـتـصـاديـة

عرفت الحركة الاقتصادية عموما انهيارا بسبب الصدمة التي منيت بها ميادين الفلاحة والصناعة التقليدية والتجارة نتيجة الهيمنة المطلقة للنصارى القدامى عليها. فلقد عملوا على قطع العلاقات الاقتصادية التي كانت قائمة بين الموريسكوس وشمال إفريقيا، هذه العلاقات التي لم تكن تشمل تبادل المنتوجات فقط بل توطدت أيضا بين الأشخاص المنتجين، وقد ساهمت القرابة العائلية في كثير من الأحيان في ذلك، فانتهى كل هذا باستيلاء القشتاليين على أرض الأندلس بصفة عامة وسقوط غرناطة بصفة خاصة.

كان الموريسكوس قبل اندلاع الحرب خبراء في الزراعة ولم يتركوا شبرا واحدا من الأرض في جبال البوشرات إلا وزرعوه مما كان له الوقع الحسن على الاقتصاد بصفة عامة، لكن بعد الحرب ذهب كل شيء أدراج الرياح، واتجهت أنظار القشتاليين إلى العالم الجديد أي أمريكا. فنظرا لهذا حاول النصارى القدماء إبقاء الموريسكوس المطرودين للإستفادة من خدماتهم في مجال الزراعة وتوزيع الماء وطحن الزيتون إلى غير ذلك.

VI- طـرد الـمـوريـسـكـوس

صدر قانون الطرد بألمرية عام 1570. ومن أهم أماكن تجميع الموريسكوس قبل طردهم مدينة «بيرا» قرب نهر المنصورة، وكذلك في الناحية الشرقية لجبال البوشرات بضواحي غرناطة.

.قد صدر عن ابن فليبي الثاني خوان دي أوسطريا[1] مرسوم يطلب بموجبه من الموريسكوس أن يلتحقوا بالمراكب البحرية قصد ترحيلهم. ومن خالف الأمر منهم يصبح من صنف الرقيق يباع ويشترى وقد حدث هذا فعلا. لكن عملية الطرد هاته تخللتها بعض الاستثناءات حيث أعفي بعض الأشخاص إما لتعاونهم بإخلاص مع رجال السلطة، أو لما كانوا يتمتعون به من حظوة عند النصارى القدماء. ونذكر على سبيل المثال المدعو «فرانسيسكو بنييكاس» الذي كان من عائلة موريسكية نبيلة. وقد كان نائبا في المجلس البلدي بألمرية. ومن بين الخدمات التي قدمها هذا الشخص للنصارى نذكر هذه الواقعة: فقد بعث بعض الموريسكوس الذين قاموا بالثورة برسالة إلى هذا الشخص. فقام هذا الأخير بتسليمها مغلوقة إلى نواب المدينة في اجتماع لهم وبذلك عربونا منه على ولاءه للعرش، وعندما قرئت الرسالة كان مضمونها أن الثوار يعرضون عليه أن يكون ملكا عليهم إن هو انضم إليهم. وقد ساهم بعض الموريسكوس من صنف بنييكاس مع النصارى في معاركهم ضد الموريسكوس.

وقد كتب بعض المؤرخين الإسبان في هذا الشأن قائلين بأن هذا الصنف من الموريسكوس كلنوا قد أصبحوا مقشتلين. الشيء الذي أدى حتما إلى استثناءهم من الطرد. كما أن كثيرا منهم أصبح يتمتع بمعاش دائم من لدن الكنيسة كما أن أملاكهم سلمت من المصادرة.

1- هو الذي انتصر على الأتراك بمعركة لبانطو قرب جزر الباليار وفيها أسر الكاتب الإسباني المعروف سيرفانطيس صاحب الكتاب الشهير «دون كيخوطي دي لامانشا».

بعد صدور قانون الطرد، قامت الحكومة بتسطير بعض الشروط لمن أراد البقاء في الأندلس :

1- يجب أن يكون الشخص الموريسكي الراغب في ذلك لم يشارك في أي نشاط معاد للحكومة أثناء ثورة الموريسكوس بقيادة ابن أمية[1]، وأن يقدم الدليل على ذلك.

2- أن يبرهن على حسن نصرانيته بجميع مظاهرها.

3- أن يتردد بانتظام على الكنيسة والمراكز الدينية.

4- أن يساهم في التظاهرات الدينية ومهرجاناتها وطقوسها مع طوائفها.

5- دفن أفراد العائلة بأماكن دفن النصارى القدماء.

6- يتعين عليه الأخذ بالعوائد الخاصة بالقشتاليين في اللباس والأكل واللغة. والتعامل مع النصارى القدماء بربط علاقات بهم.

7- أن يبرهنوا على أنهم ساهموا مع النصارى القدماء عمليا في قمع ثورة الموريسكوس المسلمين بأنفسهم وبأموالهم. إذا، هذه كانت هي الشروط التي يمكن بموجبها استثناء شخص ما من الطرد.

لقد وجد الموريسكوس صعوبات جمة في جمع هذه الدلائل. كما أن عملية الطرد كانت تشوبها خروقات عديدة، فحتى بعض العائلات النبيلة شملها الطرد لمجرد وجود شبهة فقط بعدم توفرها على الشروط السالفة الذكر.

1- انظر كتاب محنة الموريسكوس بإسبانيا للمؤلف.

كانت أكبر عملية طرد هي تلك التي حدثت سنتي 1609 و1611 أيام فليبي الثاني[1] حيث كانت جحافل المهاجرين تتدفق على الشواطئ المغربية ولو أن عددا قليلا منهم تأخر إلى أواخر القرن السابع عشر والتي كانت ترد على المغرب بصفة تجارية. ورغم طرد الموريسكوس بقي النصارى يتتبعون خطواتهم بواسطة المبشرين الذين أقاموا مراكز لهذه الغاية خاصة بتطوان باتفاق مع حكومة المغرب. فهم كانوا يتتبعون المهاجر بصفته نصرانيا. ولكنه عندما يصل إلى المغرب يتعامل مع المغاربة كمسلم. وقد ذكر هذا في بحث تحت عنوان «شخصيات موريسكية بتطوان في القرن السابع عشر» نشر في مجلة مركز الدراسات التاريخية بغرناطة ومملكاتها» رقم 5 الطبعة الثانية. سنة 1991. وقد ورد في هذا البحث شخصيات مرموقة هاجرت سرا إلى شمال المغرب في القرن السابع عشر واستقرت ببعض مدنه كتطوان. الشاون. القصر الكبير. وذكرت أسماء بعض هذه الشخصيات. فمنها من اندثرت. ومنها من بقيت كعائلة أراغون وكاسطيو. وهذه الأخيرة وردت على تطوان في سنة 1656 حسب المجلة المذكورة.

لقد هاجر الموريسكوس إلى عدد من دول شمال إفريقيا، وتركيا وأرض البلقان، لكن النصيب الأكبر كان للمغرب. فسنتتبع بحول الله دورهم في البلاد التي هاجروا إليها. لكننا سنبدأ بتوفيق من الله من المغرب.

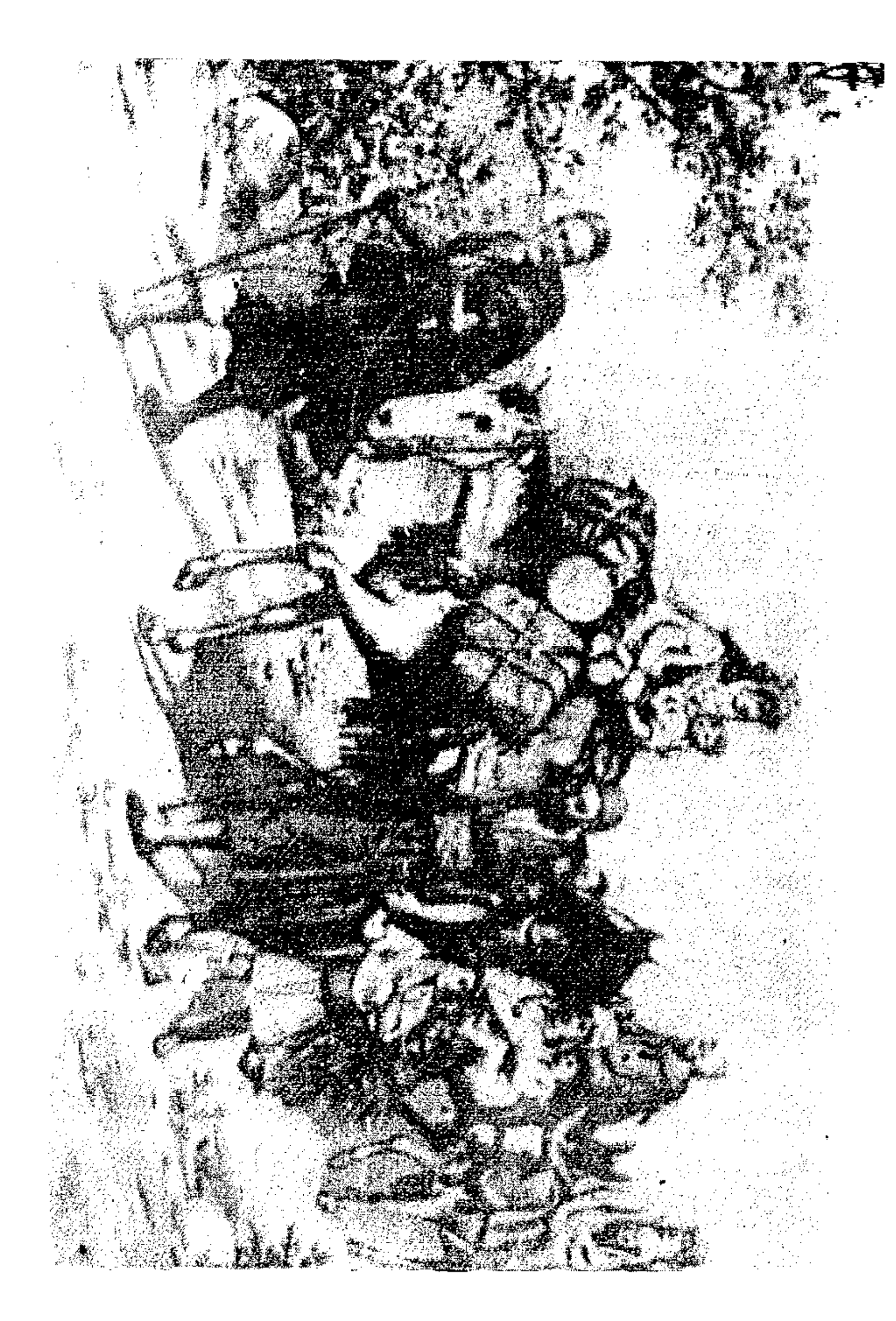
1 - انظر كتاب محنة الموريسكوس بإسبانيا للمؤلف.

الموريسكوس في المغرب

I- مقدمة

إن مغادرة الموريسكوس لإسبانيا جعلتهم يفقدون هذا اللقب الذي ألصقه الإسبان بهم، فلم يكن في الحقيقة يرقهم، وإنما تقبلوه على مضض، لأنه يحط من قيمتهم ويميزهم عن غيرهم في المجتمع الذي كانوا يعيشون فيه، كما أن هذا اللقب كان يعد وشمة عار على جبين حامله شأن ذلك شأن بعض الدول التي تقسم سكانها إلى طبقات في عصرنا هذا.

لم يعامل الموريسكوس عند قدومهم إلى المغرب معاملة واحدة من طرف المغاربة، بل اختلفت هذه المعاملة بحسب الأزمنة والظروف التي قدموا فيها إلى المغرب. فالأوائل منهم الذين أتوا إبان سقوط غرناطة أو مملكة من الماليك الأخرى، كانوا يعاملون معاملة حسنة. لأن المغاربة كانوا يلمسون فيهم صفات البيئة الإسلامية المحضة. لكن بعد مرور السنين، وأثناء عملية الطرد الكبرى على يد فليبي الثالث 1610-1614، تغيرت نظرة المغاربة إلى الموريسكوس، حيث بدأوا ينظرون إليهم كشبه نصارى لأن أحوال القادمين من إسبانيا كانت قد تبدلت سواء من حيث اللغة التي أصبحت مزيجا من العربية والإسبانية، أو الهندام الذي أضحى يشبه هندام النصارى، وكذلك من حيث عاداتهم كاختلاط الرجال بالنساء أثناء الحفلات مثلا، ونظرا لهذه الأسباب أصبح المغاربة يشكون في إسلام الموريسكوس، فصار التاريخ بذلك يعيد نفسه.



صورة لرسام أجنبي للأندلسيين المهاجرين إلى المغرب

لقب
إنما
رهم
يعد
لتي

ملة
منة
أتوا
لون
يئة
رد
ربة
لأن
لغة
حى
جال
ربة
سه.

فكما كان النصارى يشكون في تنصر الموريسكوس أصبح المغاربة يشكون في إسلامهم.

II- الطرق التي نهجها الموريسكوس في هجرتهم

كان الموريسكوس على العموم يستعملون أقرب الطرق للوصول إلى بلاد إسلامية قريبة من ناحيتهم بإسبانيا.

فمن كان يذهب إلى المغرب كان غالبا ما يعبر من الموانئ الجنوبية كميناء الجزيرة الخضراء مثلا. أما من كانوا يتجهون إلى الجزائر فكانوا يعبرون من ميناء بلنسية، وينزلون بميناء المرس الكبير القريب من مدينة وهران، ومنها إلى فاس بالمغرب.

كانت أغلب الأفواج الموريسكية تكتري سفنا ذات صبغة تجارية، وهناك أفواج أخرى كانت تهاجر على يد السلطات الإسبانية على متن سفن حربية. فكانت تلاقي معاملة سيئة من طرف ربابنتها.

كان الموريسكوس الذين يصلون إلى مدينة وهران يلاقون صعوبات كبيرة عند وصولهم إليها حيث كانت هذه المدينة محتلة من طرف الإسبان الذين كانوا يبادرون لإغلاقها في وجه الموريسكوس فور وصولهم إليها. فيضطرون للاتجاه إلى خارج المدينة تائهين في البوادي حيث يستقبلهم الناس بجفاء ويعاملونهم معاملة سيئة لأنهم كانوا يحسبونهم نصارى. فكان الموريسكوس يلقون منهم ما لا يطاق وقد كتب بعض المؤرخين بأن سلطان المغرب آنذاك أرسل جيشا لحماية الموريسكوس، إلا أن مؤرخين آخرين شككوا في ذلك حيث يقول مكيل ذي اسبالدا

«من الغريب أن تكون هذه الرواية صحيحة، لأن المغرب في ذلك الوقت كان فيه أميران يتصارعان على السلطة، ويتعلق الأمر بمولاي الحاج الشيخ ومولاي زيدان[1] كما أن الأرض التي نزل بها الموريسكوس كانت تابعة لإدارة الجزائر العاصمة، كما أنه من الجائز أن يكون الموريسكوس قد بقوا بهذه المدينة بجانب إخوانهم الذين كانوا قد سبقوهم منذ مدة طويلة، وقد تركوا بصمات عديدة بتلك الناحية».

ومن أسماء بعض القرى التي قطنها الموريسكوس قرية «فالكون دي لوس أندلوسيس» والتي أعرفها شخصيا حيث كنت أقوم بزيارتها عندما كنت قنصلا بسيدي بلعباس بالجزائر.

كان الموريسكوس القادمون إلى المغرب انطلاقا من ميناء الجزيرة الخضراء ينزلون بسبتة، وكانت هذه المدينة بيد الإسبان بعد أن أخذوها من البرتغاليين إثر توحيد إسبانيا والبرتغال بعد معركة وادي المخازن. وكان الموريسكوس والحالة هذه يتظاهرون بأنهم إسبان حتى لا يمسوا بأذى، وحتى تتوفر لهم الفرصة لولوج المغرب ومن بين هؤلاء المدعو الخياري الذي هاجر إلى المغرب عام 1598، وهو من الشخصيات البارزة في الأدب الموريسكي، كما لعب دورا مهما في المجال السياسي المغربي، وسنتطرق لهذه الشخصية في فقرة قادمة.

كان الموريسكوس يضطرون للهجرة إلى بلد نصراني نظرا

1- كان مولاي زيدان يهتم بالكتب العلمية ففي أيامه استولى الإسبان على مركب محمل بالكتب كانت في طريقها إليه، وكانت هذه الكتب في ما بعد نواة مكتبة الاسكوريال. وبقيت مكدسة إلى أن كلفت الحكومة الإسبانية راهبا مارونيا لبنانيا بترتيبها وفهرستها في القرن الثامن عشر.

الصعوبات التي كانت توضع في طريقهم إذا ما حاولوا الهجرة إلى المغرب كانتزاع أبناءهم منهم مثلا. فكانوا يتوجهون إلى فرنسا ومنها إلى المغرب أو إلى بلد إسلامي آخر بشمال إفريقيا، وكانوا يتنكرون أحيانا في صفة تجار، ففي سنة 1598 توجه فوج منهم إلى مرسيليا ومنها إلى المغرب، وهذا باتفاق مع بعض البحارة. وكانت موانئ المغرب مفتوحة لهم كتطوان والحسيمة والعرائش. وهناك بعض الأندلسيين هاجروا من المغرب إلى تونس لكونهم كانوا تجارا أو بحارة كالرايس موسور في سنة 1623 والرايس السلاوي في 1636 وعائلة عاشور التي استقرت بتونس وغيرهم.

إن الهجرة الأندلسية إلى المغرب بدأت قبل نهاية الحكم الإسلامي وذلك بسبب التقلبات السياسية بالأندلس. فكان المغرب هو الدولة المستقرة وملجأ الموريسكوس كلما حلت بهم محنة من المحن. فمثلا إبان ثورة قرطبة عام 817 هاجر عدد كبير من الأندلسيين واستقروا بفاس التي كانت عاصمة المغرب آنذاك، فأقاموا بها وكونوا مجتمعا مرموقا. فازدهرت بهم المدينة في كل جوانب الحياة. ثم بعد هذا جاءت هجرات متعددة بعدما تقوى الجانب النصراني بالأندلس بسقوط غرناطة. وبحدوث ثورة ...... وثورة البوشرات هاجرت جحافل من الموريسكوس إلى المغرب حيث كانوا يتجمعون بمدينة القصر الكبير ثم يوزعون على باقي نواحي المغرب، كما أن مدينة تطوان وبلاد الجزائر كانتا مكان التنسيق في قضية ثورة البوشرات والتي بسببها هاجر عدد من الأندلسيين ليدخلهم أحمد المنصور في جيشه.

III- كم كان عدد الموريسكوس الذين هاجروا إلى المغرب

من الصعب جدا تحديد عدد الموريسكوس الذين هاجروا من إسبانيا إلى المغرب، وذلك نظرا لكونهم طردوا في فترات متعددة، وكذلك هناك من أحصي من طرف السلطات الإسبانية عند الطرد لكنه لم يصل إلى المغرب بعد تجريده من أمتعته وإلقائه في البحر من طرف أصحاب المراكب، كما أن هجرات الموريسكوس كانت في بعض الأحيان اختيارية، ولكن رغم كل ما سلف ذكره، واستنادا إلى مصادر ووثائق إسبانية يمكن القول بأن أهم الهجرات من حيث العدد هي تلك التي وقعت بعد سقوط غرناطة ثم تليها عملية الطرد التي أعقبت أمر الملك فليبي الثالث بالطرد بين سنتي 1609 و1614، ويقدر عدد من هاجر في هذه الفترة بحوالي أربعين ألف شخصاً منها عشرة آلاف حلت بتطوان عام 1613 وذلك حسب تقرير «الدوكي دي ميدينا سيدونيا».

IV- استقرار الموريسكوس بالمغرب

لقد كان المغرب ضعيفا من الجانب العسكري إبان سقوط غرناطة بين أيدي النصارى، لذا لم يكن بإمكانه مساعدة إخوانه الأندلسيين ونجدتهم عسكريا، فقد كانت أرض المغرب مسرحا للهجومات الإسبانية والبرتغالية من البحر، وأصبحت للبرتغال قاعدة بالتراب المغربي على مدينة سبتة عام 1415، فلجأ المغرب إلى التضامن مع بعض الأمم الإسلامية ليتمكن من صد هجومات الإسبان والبرتغاليين، فتضامن مع حكومة اسطانبول وصار يسهل للموريسكوس اللجوء إلى المغرب، ويمدهم بالمساعدة لكي يستقروا

بوطنهم الجديد.

كانت للموريسكوس إبان استقرارهم بالمغرب فكرة أن بلاد الإسلام واحدة، فأصبحوا يعدون أنفسهم أصحاب الأرض الشرعيين، وصاروا يتدخلون في شؤون المغرب بجميع أنواعها من اقتصاد وزراعة إلى غير ذلك، وأصبحوا يتصرفون في السياسة الداخلية للبلاد. ويقول المؤرخ «إسبالثا» في كتابه «الموريسكوس في سياسة المغرب الداخلية»: أن الموريسكوس اندمجوا في السياسة الداخلية للمغرب وفي السلطة المركزية على الخصوص، وكذلك في الجو السياسي للمدن، وكونوا قوة خاصة في الجيش المغربي بجانب عناصر أخرى من أصل أجنبي من سود وغيرهم، وكان هذا الجيش شبيه بما كان الاستعمار الأوروبي بإفريقيا يسميه اللفيف الأجنبي. ويقول المؤرخ «كييرمو كونثاليث» في كتابه «المنظري الغرناطي مؤسس تطوان» أن نشاط المنظري من الناحية الحربية بشمال المغرب يأتي قبل كل شيء من ضعف السلطة المركزية التي فوضت له أمر الدفاع عن الشواطئ المغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط والمواجهة لإسبانيا، فكون المنظري جيشا كان مركزه قبائل الأخماس محصنا بجبالها ويكونه أهل هذه القبائل إضافة إلى بعض الأسرى الذين كانوا يقعون في قبضته أثناء حملاته الجهادية ضد الإسبان والبرتغاليين.

لقد أعطى المغرب التفويض التام للموريسكوس في كل ما يقومون به من أجل الدفاع عن الوطن ضد الاعتداءات النصرانية وخاصة بسهل تطوان وسلا والمعمورة. لقد كان الخطر محدقا بالمغرب من طرف دولتين شابتين في القوة والتقدم البحري، فعزز

المغرب علاقته مع الخلافة العثمانية، ولو أن هذه الأخيرة كان لها هدف الإستيلاء على ما تبقى من دول إسلامية بشمال إفريقيا. وقد قام السلطان أحمد المنصور بتعزيز جيشه بالموريسكوس، واستمد نظام جيشه من اسطانبول على الطريقة التركية، وذلك بعد إقامته بها مدة من الزمن [1].

أسند المغرب إذاً مهمة الدفاع عن الشواطئ إلى الموريسكوس، فبدأ تأثيرهم على السياسة الداخلية ينمو ويكبر. واستحوذوا على مراكز مهمة في الجيش وكونوا كما أسلفنا فرقة خاصة بهم إلى جانب خليط من أوربيين دخلوا الإسلام وآخرون خرجوا عن طاعة بلدهم وفروا إلى المغرب، وكذلك عبيد من الجنس الأسود، ومما يذكر بعض المؤرخين الإسبان أن السلاطين المغاربة في أواخر القرن السادس عشر كانوا غير قادرين على آداء أجور هذه العناصر المكونة للجيش الشيء الذي كان يشغل بال السلطات. ولكن سرعان ما فكت الأزمة بفضل ما حصلت عليه الحكومة من ذهب مقابل إطلاق سراح الأسرى البرتغاليين الذين أسروا في معركة وادي المخازن سنة 1578، وكذلك نتيجة مرور القوافل بعد طرد البرتغاليين من الشواطئ الغربية للمغرب، وكذا تصدير السكر إلى أوربا وجنوب الصحراء.

هناك نقطتان مهمتان وجبت الإشارة إليهما :

1- أصبح الموريسكوس درعا واقيا ضد هجمات الإسبان

1- يقال أن السلطان أحمد المنصور أتى ببعض العوائد من استانبول كموسم الشموع الذي يقام بسلا في المولد النبوي. وبعض العادات في الملبس كالقميص الداخلي الذي يسمى في بعض مدن المغرب بالمنصورة كما هو الشأن عند أهالي مدينة القصر الكبير.

البرتغاليين، وخاصة خلال القرن السادس عشر حيث كانت أكبر هجرة للموريسكوس بين 1609 و1614 أيام فليبي الثالث ملك إسبانيا آنذاك.

2- بعد الترحيب بالموريسكوس والسماح لهم بالإقامة ومزاولة جميع نشاطاتهم الاجتماعية والعسكرية، كان على المغاربة أن يكونوا حذرين في ما يخص النشاط السياسي والعسكري للموريسكوس. فصحيح أن وجودهم أعطى للبلاد ازدهارا وحركة دائبة في كل مرافق الحياة، لكن عملهم فيما بينهم كان يدعو لليقظة لأنهم كانوا طبقات اجتماعية متباينة وكثير منهم ترك في بلده الأصلي ثروة وجاه، فكان عليهم في حالة هذه استردادها في مقر إقامتهم الجديد فأخذوا يقومون في بعض الأحيان بنشاطات تكاد تكون مناهضة للسلطات المحلية بالأماكن التي استقروا بها في المغرب باتخاذهم لنفسهم حكما ذاتيا بالمفهوم السياسي الحالي، فحاولوا الاستقلال بأنفسهم في الاقتصاد والسياسة في بعض مدن المغرب كتطوان والرباط وسلا.

بدأ مظهر التنافس يتجلى بين الموريسكوس أنفسهم، حيث كان المغرب يضم عددا كبيرا ممن هاجروا أثناء سقوط غرناطة عام 1492، وعددا آخر ممن حلوا بها بعد فترة طويلة من سقوط غرناطة وذلك عام 1609 أي بعد قرن ونيف. فبين الفئتين اختلاف كبير في العقلية والثقافة والعادات. فالأوائل ثم المنحدرين منهم كانوا متشبثين بالروح الإسلامية والثقافة العربية، بينما الفئة الأخيرة كانت قد تشبعت بالثقافة الإسبانية، وبعدت بذلك بعض الشيء عن الروح الإسلامية الصحيحة بل حتى الكثير منهم فقد

اللغة العربية حيث أصبحت لغتهم مشوهة باللغة الإسبانية التي طغت عليهم بفعل القهر الذي كان يمارس عليهم في بلدهم الأصلي.

كما كان مظهر التنافس متجليا أيضا بين البورجوازية المغربية القديمة والأندلسية القديمة التي استقرت بالمغرب قبل ضياع الأندلس وخاصة بمدن تطوان، فاس، سلا ومراكش.

V- اندماج الموريسكوس في المجتمع المغربي

يقول المؤرخ ميكيل دي اسبالتا : « من بين العوامل التي كانت تحول دون اندماج الموريسكوس في المجتمع المغربي هو التداخل بين العنصرين البدوي والمدني حيث أن المدن كانت تحيط بها أراضي فلاحية يسكنها المزارعون الذين يعيشون على النمط البدوي مما أثر على سكان المدن فحال دون اندماج الموريسكوس».

وكتعليق على ما كتبه هذا المؤرخ نقول أن جحافل من فلاحي مرسية طردوا منها بعد ثورة جبال البوشرات سنة 1585، وكانت كلها من المزارعين من الناحية الشرقية للأندلس. وعند قدومهم إلى المغرب لم يكونوا يعرفون عن حياة الحضر شيئا، وخلقوا أزمة للمزارعين المغاربة بسبب مضايقتهم لهم في فلاحتهم فربما نسي ميكيل دي اسبالتا هذا أو كتب ما كتبه بدوافع عنصرية. وقد قال بعض المؤرخين الإسبان أن الموريسكوس اندمجوا أولا كعنصر أجنبي في مجتمع خاص بهم كاليهود أو النصارى الذين أسلموا أو أجانب غير مستقرين.

كان اندماج الموريسكوس في المجتمع المغربي مختلفا حسب

الفترات التي قدموا فيها إلى المغرب، ذلك أن هجرتهم تمت في ظروف مختلفة وتباين في كل شيء. فالأندلسيين الذين هاجروا أثناء ثورة قرطبة مثلا في القرن التاسع مختلفون عن الذين هاجروا إبان سقوط غرناطة، وعن الذين هاجروا أيام فيليبي الثاني بعد حرب البوشرات عام 1568، وبخلاف أيضا من هاجروا أثناء فترة الطرد الكبير أيام فيليبي الثالث عام 1609. كما أن فئة أخرى هاجرت في أواخر القرن السادس عشر، بل هناك من هاجر حتى نهاية القرن السابع عشر. فلهذا رأينا أن نبين حالة كل مجموعة من هذه المجموعات معتمدين في ذلك على مراجع إسبانية حديثة التأليف، لأن لكل مجموعة خاصياتها من حيث التكوين الديني والاجتماعي. فالذين هاجروا أيام ثورة قرطبة كانوا مسلمين، ولم يهاجروا لأنهم ضويقوا في دينهم، بل كان ذلك لأسباب سياسية واجتماعية، وحلوا خصوصا بمدينة فاس وكونوا بها نواة نهضة ثقافية واجتماعية أما مهاجروا غرناطة بعد سقوطها فكانوا أندلسيين بطابعهم الخاص وعوائدهم الخاصة وحياة اجتماعية خاصة سواء من الناحية الدينية أو العلمية أو الثقافية إلى غير ذلك. أما مهاجروا حرب البوشرات عام 1568 فقد كانت بنيتهم الاجتماعية ممزوجة ببنية إسبانية نصرانية نظرا لتقادم العهد على ذهاب دولتهم الإسلامية. فقد كان قد مر ثمانون سنة تقريبا على سقوط غرناطة، أضحوا خلالها عرضة للمضايقة والتشرد مرغمين على التخلق بأخلاق النصارى ولو ظاهريا.

أما مهاجروا القرن السابع عشر، فكان لهم وضع خاص

وحالتهم أقرب إلى النصارى، تكاد لا تختلف عنها في شيء.

نظرا لكل هذا كان استقبال المغاربة لكل فئة من الموريسكوس يختلف حسب الفترة التي قدموا فيها، وكذلك حسب وضعية المغرب الاجتماعية والثقافية المرتبطة أساسا بالوضعية السياسية.

رغم كل الصعوبات التي واجهت الموريسكوس استطاعوا أن ينصهروا في المجتمع المغربي، وساهموا في شتى الميادين حيث صارت الأسواق مليئة بمنتوجاتهم الصناعية والفنية وطبقوا كذلك طرقهم الخاصة في ميدان التجارة، وازدهرت الأماكن التي نزلوا بها، وانتعشت المبادلات التجارية مع الخارج عن طريق البحر والذي كانوا خبراء بشؤونه.

وقد ساعدهم في هذا إتقانهم للغات الأجنبية وخاصة الإسبانية والبرتغالية سيما وأن علاقتهم بالإسبانيين والبرتغاليين كانت لا تزال حديثة العهد.

VI- أفوقاي

من بين الموريسكوس الذين هاجروا إلى المغرب شخصية فذة عرفت باسم أفوقاي، ونظرا لأهميتها، ارتأينا أن نخصص لها فقرة خاصة.

ولد أفوقاي بقرية تسمى الحجر الأحمر سنة 1569 أو 1570 وذلك حسب المصادر الإسبانية، واسمه الكامل : أبو العباس أحمد ابن قاسم ابن أحمد ابن الشيخ الحجري الأندلسي، يلقبه المغاربة

بالشهاب، والإسبان بالبيخيرانو Bejerano، ويقال أنه اتخذ هذا اللقب حتى لا يبقى باللقب الموريسكي الذي كان يعرضه للخطر بسبب تحريات الجواسيس النصارى، وهذا اللقب هو نسبة لقرية بيخار[1].

تلقى أفوقاي تعاليم الدين الإسلامي على يد أبويه وفي غاية كبيرة من السرية، كما حفظ ما تيسر من القرآن الكريم، وتعلم أسس اللغة العربية على يد أفراد أسرته، كما ظل سنين طويلة يدرس اللغة القشتالية حتى أتقنها وصار يُظن أنه إسباني.

كان أفوقاي وكما كان أمر الموريسكوس آنذاك يتحاشى أن يظهر معرفته للغة العربية إلى أن شاءت الأقدار، واشتهر بمعرفة لغة الضاد وذلك على يد الأسقف خوان مانديس سالبتيرا، حيث قام أفوقاي بترجمة مخطوطة قديمة استعصى على القسيس المذكور معرفتها. فعظم أمر أفوقاي عند الإسبان لاحتياجهم إليه في الترجمة من القشتالية إلى العربية أو العكس، وحصل على رخصة للقيام بتلك المهمة.

كانت فكرة الفرار إلى بلاد الإسلام تراود أفوقاي منذ مدة طويلة، لكن هذه العملية كانت في غاية كبيرة من الصعوبة والخطر لكون النصارى كانوا بالمرصاد لمن حاول ذلك. في عام 1599 سافر أفوقاي إلى إشبيلية لتجنب الأوامر التي كانت تصدر في حق الموريسكوس بعدم الهجرة، ثم سافر عبر مرفأ سانطا

1- أنا أعرف قرية بيخار. وتوجد بين الجزيرة الخضراء وقادس وهي مرتفعة جدا حتى يقال أن الإنسان بها يرى أظهر الطيور وليس بطونها، وتسمى بيغار دي لا فرونطيرا Bejar de la Frontera أي بيخار الحدود، وربما كانت تفصل بين حكم النصارى والمسلمين.

ماريا قرب مدينة قادس على متن سفينة محملة بالقمح حتى وصل إلى المغرب، وبالتحديد إلى مستعمرة برتغالية كانت تسمى «مازگان» أو البريجة وهي مدينة الجديدة حاليا، حيث مكث مدة ينتظر فرصة الهرب، إلى أن تسنى له ذلك ففر إلى مدينة أزمور، وقد روى أفوقاي هربه وقال :

«عندما وصلنا إلى بوكالة (وأظن دكالة، وهذا على لسان المؤرخين الإسبان) في سوق قريب من أزمور، جاء المسلمون يسألون خادم قائد المدينة والذي كان يرافقني هل أنا مسلم؟ فأجابهم نعم، رغم هيأتي الإسبانية. فأحاطوا بي وأخذوا يلحون علي بأن أنطق بالشهادتين وفي النهاية فعلت، فقالوا : والله إنه ينطقها بطلاقة أحسن منا. ثم أتوا بالتمر وبعض المنتوجات التي تباع في السوق مع بعض النقود الفضية، فقلت لهم : أنا لا أحتاج من هذا شيئاً، ولما استقبلني قائد أزمور سألني عن رأيي في استقبال المغاربة لي فأجبته : أحمد الله أنني لم أجد عدوا بين هؤلاء الناس، ففي بلاد النصارى لا نجد في الأسواق إلا الأعداء، ولا نجرؤ على القيام بشعائرنا أو نبوح بعقيدتنا، بينما المسلمون هنا هم الذين دفعوني للقيام بها، ولما سمعوني فرحوا بذلك».

استقر أفوقاي إذاً بالمغرب، وسمحت له الظروف بأن يرى السلطان أحمد المنصور في مناسبة عيد الأضحى في معسكر قرب مدينة أزمور حيث كان السلطان يتابع استعراضا للجيش، وبعد مدة وجيزة استقبل أفوقاي من طرف السلطان الذي أثنى عليه لمعرفته التامة للغة العربية ليعينه بذلك ترجمانا بالبلاط الملكي، ويقول أفوقاي أن الموريسكوس الذين كانوا يوجدون منذ مدة

بالمغرب سروا بالترحيب الذي حظي به من طرف السلطان

بقي الخياري ترجمانا بالبلاط الملكي مدة اثنا عشر سنة إلى حدود فترة الطرد الكبير للموريسكوس على يد فيليبي الثالث 1609-1614، ويقال أنه تزوج من بنت رئيس الجماعة الأندلسية التي كانت موجودة بعاصمة المغرب.

لم يكن الخياري مجرد مترجم بل كانت تسند إليه مهام يقوم بها دوليا. فقد أوفده السلطان في مهمة إلى فرنسا عام 1612 حيث رافق وفدا من الموريسكوس، وقعت لهم سرقة بأربع مراكب فرنسية نقلتهم من إسبانيا، فأعطاه السلطان رسالة إلى رئيس الجالية الأندلسية أو قاضي الأندلسيين. ورسالة أخرى إلى رئيس القضاة بمدينة بوردو الفرنسية، وكان ذهابه في هذه الرحلة على متن سفينة انطلاقا من مدينة اسفي حيث كان يوجد أهم ميناء بالمغرب، فسارت السفينة في اتجاه مدينة لوهافر الفرنسية حيث رست بمينائها، ومنها توجه أفوقاي إلى باريس، وبعد ذلك تجول في عدد من مناطق فرنسا ليعود بعدها إلى مدينة باريس في 13 مايو عام 1612 حيث وافق ذلك اليوم عيد المولد النبوي الشريف، بعد ذلك ذهب الخياري إلى فلاندس وزار أمستردام وليدن ولاهاي، ومن خلال مذكراته يتضح أنه كانت له عدة لقاءات مع النصارى واليهود أثناء تلك الرحلة حيث حصل على عدة معلومات استعان بها في كتابه عن المسيحية، كما كانت للخياري عدة مراسلات مع أندلسيين في جهات أخرى كإسطنبول مثلا.

رجع الخياري من سفره إلى المغرب حيث عمل مع السلطان زيدان السعدي وولده عبد الملك ثم أخيه الوليد بن زيدان.

في سنة 1635 وكان عمره 65 سنة، ركب الخياري البحر من سلا متوجها إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج الشيء الذي كان الموريسكوس محرومين منه في إسبانيا. وعند رجوع الخياري من الديار المقدسة توقف بمصر حيث مكث إلى حدود سنة 1637، وبها أتم تأليف كتابه «ناصر الدين على القوم الكافرين»، بإيعاز من الشيخ الأجهوري الذي كان يعمل أستاذا للمذهب المالكي بجامع الأزهر بالقاهرة. ودون أفوقاي في هذا الكتاب مغامراته ورحلة حجه وكذلك أشياء تخص إخوانه الأندلسيين.

بعد مقام الخياري بمصر، توجه إلى تونس حيث أقام وعمل مترجما لبني جلدته الموريسكوس. وفي تونس التقى الخياري بموريسكي يدعى إبراهيم ابن أحمد البرباص، ويقال أن اسمه محرف من الإسبانية Barbas أي اللحية، أو Arribas أي العلو، وكلتا الروايتين مصدرها إسباني. وقد قام هذا الموريسكي بتأليف كتاب عن فن المدفعية، ويتعلق الأمر حسب المؤرخين الإسبان بكتاب فريد من نوعه انتشر وصار يعمل به في المدفعية الإسلامية، وكذلك في المغرب في أواخر القرن السابع عشر. وقد قام إبراهيم البرباص بهذا العمل لمواطنيه بعد انتهاء عمله كبحري حربي، وقد كان عمله مع الإسبان في هذا المجال قد دفعه إلى أمريكا وكل شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وقد قضى بسجون الإسبان مدة سبع سنوات بعد أن أسر حين كان مركبه مبحرا في اتجاه مالقة.

وقد قام الخياري بترجمة مذكرات البرباص إلى العربية، فبدون شك كان صاحبه قد أملاها عليه بالقشتالية. وأضاف

لخياري لهذا الكتاب مقدمة تتناول ترجمة القبطان الموريسكي بتونس وقد تم هذا العمل في سنة 1638.

هذه باختصار شديد نظرة عن حياة هذا الموريسكي الفذ الملقب بأفوقاي، وتجدر الإشارة هنا بأن الأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة قد أصدر كتابا عن هذه الشخصية الفريدة سماه «أحمد بن قاسم الفوقاي الحجري آخر موريسكي يؤلف بالعربية ويدافع جهرة عن الإسلام».

VII- جمهورية سلا الموريسكية

في أواسط القرن السابع عشر قام موريسكيو مدينة سلا بتأسيس حكومة خاصة بهم مع اعترافهم بالحكم المغربي وسلطة السلطان المركزية، ونود في هذا الشأن أن نعطي للقارئ فكرة عما سماه المؤرخون وخاصة الإسبانيون منهم بجمهورية سلا الأندلسية، كانت الخريطة السياسية المغربية مقسمة إلى ثلاثة أجزاء : الحكومة المركزية التقليدية وعاصمتها فاس أو مراكش، مدينة تطوان، ومدينة سلا.

وقد أثار قيام الحكم الذاتي الذي أقامه الموريسكوس بسلا اهتمام الأوربيين، ويقول «ميكيل ذي اسبالثا» نقلا عن مؤرخ فرنسي لم يذكر اسمه : كانت سلا بمثابة ملجأ للموريسكوس وقد كانت محكومة من طرف عناصر دينية، وكان الحكم فيها يبدو غريبا، وأحكامه بطيئة التنفيذ، لكنه كان فعالا، وكان هذا الحكم مستمدا من الإسبان.

كان هيكل الحكم في جمهورية سلا الموريسكية مكونا من

ديوان أو مجمع يضم اثني عشر شخصا، ورئيس المجمع أو الديوان كان يسمى الأميرال الكبير (أمير البحر) وفي كل سنة يتم اختيار حاكمين اثنين يتقلدان الحكم كل واحد منهما في ضفة من ضفتي أبي رقراق أي سلا والرباط، وكانت قصبة الرباط هي مركز الحكم. وحسب المصادر الأوروبية فإن حكومة جمهورية سلا اقتبست طريقتها من أنظمة شتى خاصة الأتراك والإسبان، كما أن كلمة ديوان أخذت عن تونس والجزائر وليبيا حيث وضعت من طرف حكامها الأتراك، ولكن ألقاب القواد والرؤساء أخذوها عن الإسبان، ويتجلى من هذا أنهم لم يأخذوا شيئا عن المغرب في نظام الحكم لكونهم عايشوا الإسبان لمدة طويلة، كما أن تشبتهم بالإسلام جعلهم يقلدون أقوى دولة إسلامية آنذاك وهي الدولة العثمانية، وحتى المغرب أخذ كثيرا عن الأتراك في تلك الفترة، وخاصة المنصور السعدي.

لقد تكون المجتمع السلاوي من لاجئين موريسكيين لكنهم اختلطوا بعائلات مغربية بحكم المصاهرة والمعاملات والتساكن، وكذلك من بحارة إسبان وأوربيين أسلموا. وقد طرأ تغيير على أنظمة العيش بقدوم عدد كبير من المهاجرين من مقاطعة «إكسطريمادورا» Extremadura الإسبانية [1]. وكان هؤلاء اللاجئين يسمون هورناتشو، ويقال أنهم من مدينة في جنوب غرب إسبانيا بين إشبيلية وماردة، بعيدة عن الأولى بحوالي 170 كيلومترا شمالا وعن الثانية بحوالي 50 كيلومترا جنوبا، وهذا ما ورد أيضا في

1- اكسطريمادورا Etremadura مقاطعة إسبانية تقع تحت البرتغال عاصمتها بطليوس Badajos. كانت أيام الحكم الإسباني عاصمة أحد ملوك الطوائف..

كتاب «الزاوية الدلائية» لمحمد حجي.

تقلد قوم هونارتشو الحكم والإدارة وخاصة منها ما يتعلق بالمعاملات التجارية التي تسير بواسطة الشركات، فطبقوا الأنظمة التي كانت سارية المفعول في بلادهم في غرب إسبانيا في التجارة البحرية خاصة.

لقد أدت صلابة الحكم من طرف الأسترمادوريين، وسيطرتهم على باقي الأندلسيين إلى إحداث توتر في الأجواء، فرغم هذه السيطرة لم يخرج الاسترمادوريون عن سلطة السلطان إلى سنة 1626. وفي سنة 1630، قسم الحكم إلى ثلاثة مراكز حضرية : القصبة، سلا الجديدة والرباط ثم سلا القديمة.

لقد كانت لهذه الناحية أهمية قصوى في المغرب وخاصة من الناحية البحرية، وكان من بين أهداف السلطان المنصور، تنفيذ مشروع إنشاء مرسى تجارية وحربية في نفس الوقت لخلق أسطول مهم كالذي كان عند السلاطين المرينيين، وشبيه بأسطول الجزائر، كما كان يريد أن تكون هذه المرسى مستعملة للذخيرة بالواجهة الأطلسية لأن مراسي البحر الأبيض المتوسط لم يكن لها اتصال جيد بالعواصم المغربية عبر البر، كما كانت معرضة للهجوم من طرف الأتراك والجزائريين، ليتمكنوا من خلالها من مهاجمة الشواطئ الإسبانية.

كانت مدينة العرائش مرشحة لمشروع كالذي ذكرنا، إلا أن احتلال الإسبان لها حال دون ذلك، لذا كانت مدينة سلا مهيأة للحكم الذاتي حتى يتسنى لها الدفاع عن سيادة المغرب في مواجهة أعداءه في تلك الفترة، كما لم يكن لغيرها من مناطق

المغـرب أن تقـوم بهـذا الدور نظرا للصـراع الذي كـان دائرا على الحكم. وهناك عـامل آخـر سـاعـد على ترسـيخ وتثـبـيت سلطة السـلاويين، وهو نـزوح الأندلسـيين ولجـوءهم إلى تلك الناحـيـة هاربين من مكان إقـامـتهـم بالعـرائش والمعـمـورة اللتـان احـتلتـا من طرف الإسبان.

بعـد هذا كله خلق مشكل جـديد للمـوريسكوس السـلاويين وهو قيام العياشي ضدهم، وكـان مـشهـورا بجـهـاده ضـد النصـارى، ويقـال بأن الغـيـرة من الموريسكوس السـلاويين هي التـي دفـعـتـه للقيام ضدهم متهما إياهم بالتعاون مع النصارى الإسبان مستندا في ذلك على فتوى حصل عليها من علماء فـاس، لكن العيـاشي يتهمهم بالخروج عن طاعة السلطان، لكنه (أي العياشي) أغتيل من طرف عناصر من الطريقة الدلائية.

انتـهت سلطة مـوريسكيي جـهـة الرباط سلا على يد مولاي رشيد عام 1668، وأدمجوا بصفـة نهائية في سلطة حكومة المغرب المركزية، وهكذا انتهى نشاط هذه الطائفـة من الموريسكوس بهذه الناحـيــة من المغـرب. واضطـرت بذلك أن تندمج فـي هوية أهل الأرض أي المغاربة كما فعلت غيرها من بني جلدتها والتي كـانت قد حلت من قبل بالمغرب.

VIII- الموريسكوس في جيش المنصور السعدي لفتح السودان

لم يبق الموريسكوس بعيدين عن شؤون المغرب الداخلية كما أسلفنا، فقـد كـان همهم هو الاندماج في المجتمع المغربي ونسيان

المحن التي مروا بها الشيء الذي جعلهم يعملون بإخلاص في جل ميادين الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية. وقد أدى هذا الأمر في بعض الأحيان إلى احتياط السلطة المركزية منهم نظرا لخبرتهم المتطورة والتي أتوا بها من أوربا التي كانت في أوج نهضتها. وانطلاقا من هذا تمت تجربتهم في عمل صعب وخطير وضخم حتى يبقوا تحت سيطرة السلطة الحاكمة، وبالتالي اتقاء لما قد يصدر عنهم من أعمال تخل بالنظام العام والانضمام إلى عناصر مناوئة للسلطان. لذا قام المنصور السعدي بتكوين فرقة من الموريسكوس وضمها إلى جيشه لفتح السودان في القرن السادس عشر. وقد ساهم هؤلاء في هذا الحدث مساهمة فعالة، وقد اهتم كثير من المؤرخين الإسبان بهذا ومن بينهم «غارسيا كوميس» [1] و«ليفي بروفنسال» وغيرهم ومنهم من جعل هذا الحدث موضوعا أدبيا مكتوبا في شكل قصيدة باللهجة الكاتالونية.

أرسل المنصور السعدي إذاً بعثة عسكرية إلى السودان في سنة 1591 مؤلفة من فرقة أندلسية وفرقة من الأوربيين الذين اعتنقوا الإسلام تحت قيادة موريسكي كان يدعى جودار باشا، وكان هذا الشخص نصرانيا في صغره ثم اعتنق الإسلام. فتم النصر للمنصور وأصبح نفوذه يصل إلى تخوم الصحراء، وتدفقت على المغرب الخيرات والأموال والذهب والعبيد، كما صار المغرب

1- غارسيا كوميس مستشرق إسباني كان أستاذا بكلية الآداب بمدريد يدرس اللغة العربية والأدب الأندلسي، وكنت مدرسا مساعدا بنفس الشعبة مدة عشر سنوات، وكانت تربطني به علاقة ثقافية وطيدة، وكان عضوا بعدة أكاديميات من ضمنها أكاديمية المملكة المغربية.

يروج منتوجاته في تلك الأماكن. وبذلك ارتاح المنصور السعدي من منافسيه الذين كان يخشاهم. وقد حصل كذلك على توازن عسكري مع دول البحر الأبيض المتوسط وخاصة الإسبان الذين كانوا قد انتصروا على العثمانيين في موقعة «لبانطو»، فأصبح الإسبان والبرتغاليون مقيدون في المناطق التي كانوا يحتلونها في الشواطئ المغربية.

IX- تأثير الموريسكوس في الميادين العلمية والثقافية والفنية

إذا كانت أوربا نفسها استفادت من التقدم العلمي والثقافي والفني للأندلسيين في القرون الوسطى، فالمغرب كذلك، وبعد هجرة الموريسكيين إليه تأثر كثيرا بما كانوا يحملون معهم من معرفة في ميادين شتى لا زالت معالمها واضحة إلى عصرنا هذا، ويتجلى من هذا أن الإشعاع الحضاري والإرث الثقافي الأندلسي وصل إلى القرن العشرين وسيتواصل على امتداد القرون المقبلة بمشيئة الله بالطريقين الأوروبي والمغربي. وقد احتفظ المغرب بالقسط الوافر من هذا الإرث نظرا لعدة أسباب وعوامل ذكرناها بإسهاب في الفقرات السالفة، وهذا إذ دل على شيء فإنما يدل على حنين المسلمين بصفة عامة والمغاربة منهم بصفة خاصة إلى الفردوس المفقود الأندلس، كيف لا والأمة الإسلامية أضحت بذهاب الأندلس مقصوصة الجناحين لا تقوى على التحليق في أجواء التقدم والرقي.

لقد طبع الموريسكوس المغرب ببصمات واضحة في جل ميادين الحياة، وسنتطرق في هذه الفقرة إلى بعض الأسماء التي

أغنت المجال العلمي، والثقافي في المغرب على أن نعمل مستقبلا إن شاء ربنا على التعمق في هذه الجوانب معتمدين على مؤرخين من مشارب مختلفة حتى تكون الشهادة التاريخية أكثر تكاملا وخالية من أي تعصب وانحياز.

كان الأندلسيون الذين أثروا في الحياة الثقافية بالمغرب بمثابة صلة الوصل بين الثقافتين الإسلامية والنصرانية، لكون أغلبهم كان يتقن اللغتين العربية والإسبانية وساهموا بحظ وافر في الترجمة بين اللغتين، بل حتى من العربية إلى البرتغالية.

من بين المورسكيين الذين ساهموا في إثراء الميدان العلمي والثقافي نذكر الغزاني في نهاية القرن السابع عشر، ويوسف الحكيم الذي كان متضلعا في العلوم الطبية وعلم التنجيم والفلسفة، وقام بترجمة مبادئ علم الفلك. كما اشتهر أيضا في مجال الترجمة بالإضافة إلى الخياري بيخرانو الذي تطرقنا إليه بتفصيل في فقرة سابقة، خوان الفونصو أراغون وكان في الأصل مسيحيا، وقد كتب قصيدة ضد النصرانية بمدينة تطوان. وكذلك محمد الوزير وهو موريسكي من باسطرانا كتب في عهد السلطان مولاي زيدان ضد القانون المسيحي باللغة القشتالية.

واشتهر كثير من الموريسكيين في عدة ميادين علمية كرئيس الأطباء علي إبراهيم الأندلسي والذي كتب مواضيع شعرية عن عدة فواكه وطبيعتها وعلاقتها بطب العيون وعن نباتات طبية وفوائدها في العلاقات الجنسية، وكان من أشهر المنجمين الأندلسيين وتوفي بمراكش 1613. وهناك أيضا أحمد بن سيو الأندلسي الذي أقام بفاس والذي كتب لصديقه الخياري تكهنات

في علم التنجيم.

وهناك من العلماء من كان يعتزل البلاط الملكي أو المدن ويقيم بالبادية ليستفيد ويفيد الناس من علمه، ومنهم محمد بن علي الشاطبي من مدينة شاطبة بالأندلس، وقد أقام هذا الرجل بقبيلة بني زروال يعلم ويطبق علمه كأستاذ وباحث في علم الزراعة والصيد وكذلك علم التنجيم الذي ألف فيه كتاباً.

كما اهتم الموريسكوس بتأسيس المكتبات كمكتبة القصبة بالرباط، وقد ترك بهذه المكتبة البحري والعسكري والتاجر أيضا عبد الله الأندلسي والمعروف بالقصري، مصحفا للقرآن الكريم خطي أتى به من الإسكندرية في طريق عودته من الديار المقدسة بعد أداء فريضة الحج.

وقد اشتهر بعض الموريسكيين بفن الخط فكانوا خطاطين ماهرين كمحمد العْدي الأندلسي بفاس.

ومن بين الميادين التي أبدع فيها الأندلسيين أيام ازدهار الأندلس ميدان الموسيقى. وما موسيقى الآلة المتداولة اليوم في المغرب إلا امتداد للإرث الحضاري الرفيع الذي نقله الأندلسيون الذين هاجروا إلى المغرب. ورغم ضياع عدد من نوبات هذا الفن وامتزاجه بالفن المغربي المحض ظلت معالم أصله الأندلسي واضحة ومتجلية في ما تبقى من نوبات لا زالت تدرس في المعاهد الموسيقية بالمغرب وتؤديها كثير من الفرق الموسيقية المختصة. وندعو الله أن يعيننا مستقبلا حتى نخصص بحثا تاريخيا في هذا الموضوع.

وبإيجاز نورد هنا أسماء بعض الموريسكوس الذين ساهموا

في إثراء الفضاء الثقافي والعلمي بالمغرب، ومنهم : ابن سودة وهو من مهاجري غرناطة عند سقوطها عام 1492، والذي أقام بفاس، وقد أعطت هذه العائلة كثيرا من المثقفين والعلماء، وأبو قاسم وكان قاضيا في تازة وفاس ومراكش وتوفي عام 1596، وأبو عبد الله المتوفي عام 1795، وابنه أبو العباس المتوفي عام 1820، وأبو عيسى الذي ترك مخطوطا عن رحلته إلى الشرق. كما لا ننسى بعض الشخصيات التي ساهمت في الميدان العسكري كالقائد جودار الذي ترأس حملة عسكرية إلى تمبكتو، والتطواني غيلان الذي كان يهاجم الإسبان والبرتغاليين المتمركزين بالشواطئ المغربية.

وقد تقلد الموريسكيون عدة مناصب في دواوين الحكام نذكر من بينهم المدعو القاسمي دي كارديناس والذي برز اسمه في عام 1621 بعد وفاة الزعيم أحمد بن عيسى النقسيس، وكان القاسمي يتقن اللغتين الإسبانية والعربية وكان من العدول المشهورين في عصره وقد أقام بمدينة تطوان.

الموريسكوس في الجزائر

لقد كان وضع الموريسكوس في الجزائر يختلف عن وضعهم في المغرب، وذلك بسبب اختلاف الأوضاع السياسية في كلا البلدين. فرغم كون الشعور الأخوي اتجاه الموريسكوس من الناحية الدينية كان هو السائد في الدولتين إلا أن تأثير المناخ السياسي كان أقوى على اعتبار أن المغرب كان بلدا مستقلا، يتمتع بسيادة كاملة، ويتصرف في شؤونه كما تمليه عليه الظروف، بينما كانت الجزائر لا تستطيع التصرف بحرية في شؤونها، ذلك أن السلطة العثمانية بتركيا كانت تعتبر الجزائر ولاية تابعة للباب العالي بإسطانبول، إضافة إلى هذا كان قسط وافر بمنطقة شمال الجزائر محتلا من طرف الإسبان كمدينة وهران والمرس الكبير.

لقد انعكست هذه الوضعية السياسية سلبا على هجرة الموريسكوس من حيث العدد، حيث كان عدد المهاجرين إلى الجزائر أقل بكثير من المغرب.

بدأت هجرة الموريسكوس إلى الجزائر (كما كان الشأن بالنسبة لشمال إفريقيا عامة) مع بداية سقوط الممالك الإسلامية في يد النصارى، حيث حط الرحال من هاجر آنذاك في بعض المدن التي كانت خاضعة للسلطة المغربية الموحدية كتلمسان ونواحيها، ثم عند نهاية الحكم الإسلامي بسقوط غرناطة عام 1492 تقاطر على الجزائر عدد كبير من المهاجرين وخاصة إلى الشواطئ المقابلة لإسبانيا، كما تدفق كم كبير من الموريسكيين على الجزائر إبان ثورة غرناطة عام 1502.

استقر أغلب الموريسكيين الذين قدموا إلى الجزائر في الحواضر، أما في البوادي فكان وجودهم غير مرغوب فيه من طرف أهاليها. وذلك ربما للمضايقة التي بدأوا يحسون بها في الميدان الفلاحي من طرف الموريسكوس. وهناك عامل آخر جعل الموريسكيين يفضلون الاستقرار بالحواضر هو كونها كانت محصنة ومراقبة من طرف السلطة المركزية، بخلاف البوادي التي كانت شبه منفصلة عن السلطة، وحتى في الحواضر كانت تحدث مشاغبات وثورات من طرف الموريسكوس بسبب نزاعاتهم مع الأتراك الذين كانوا يسيطرون على الوضع في الجزائر، سيما وأن من بين الموريسكيين من كانوا من طبقة أرستقراطية يرفضون السيطرة، والأتراك كانوا يعتبرون أنفسهم مستعمرين. ثم هناك عامل اللغة والعادات الشيء الذي أدى إلى حدوث اصطدامات متكررة حتى أن بعض الموريسكيين اضطروا للعودة إلى إسبانيا متظاهرين بالولاء والتمسك بالدين المسيحي.

جاء عند بعض المؤرخين أن جل النازحين إلى الجزائر كانوا من نواحي أراغون، وبلنسية، وكاتالونيا، وكانوا يتقنون عدة حرف، فكان منهم صانع المسدسات والبارود، والعارف بالحدادة والنجارة والبناء والخياطة وصناعة الأحذية، إلى غير ذلك. وكذلك بعض المهن الفنية كصناعة الحرير والخياطة والطرز والحياكة، وصار هؤلاء تدريجيا يندمجون في المجتمع التركي بالجزائر ويتحلون بأخلاقه ويلبسون لباسه في شكله وهندامه، وفي هذا السياق نذكر ما قاله الرحالة الفرنسي «روجير دي طاسي» : فقد قال «أن أغلب الأندلسيين استقروا بالمدن حيث اكتسبوا عقارا

وأمــلاكــا، وصــار المرء لا يرى إلى ســحنات أهل الأنـدلس على الوجـوه»، وقـد كـون هؤلاء الأندلسيون مـجـتمـعـا غنيـا وطبـقـة أرستقراطية إلى جانب الطبقة التركية الحاكمة. وكان نشاطهم يتجلى أكثر في الجزائر العاصمة. وقد كون الأندلسيون مركزا تجاريا مهما بالمغرب العربي في القرن السابع عشر الميلادي، وقد تدفقت الخيرات على الجزائر في هذه الفترة بفضل نشاط أهل الأندلس إضافة إلى درايتهم بالقرصنة في البحر في هذا الوقت.

وقد عمل هذا النشاط على إحياء عدة مدن بعد أن كانت في حكم الاندثار مثل شرشيل، وبليدة. وقد أدخل الموريسكوس بعض الزراعات الجديدة، كالقطن بمستغانم والكروم بعنابة. ويعود ازدهار الموريسكوس الاقتصادي إلى علاقتهم الاقتصادية بأقطار حوض البحر الأبيض المتوسط، كالمغرب وتونس وليبيا ومصر وتركيا.

في مجال هندسة المياه، عمل الموريسكوس بإتقان، وجلبوا الماء للجزائر العاصمة بواسطة قنوات خاصة بقيت من عهد الرومان تشبه القناطر في هندستها، فسخروها بمعرفتهم وخبرتهم لجريان الماء الشروب للعاصمة، وقد نسب بعض المؤرخين هذا إلى مهندس كان يدعى موسى، ومشروع الماء هذا بالعاصمة خرج إلى حيز الوجود عام 1610-1611، في عهد الباشا مصطفى خوجة. وقد بقيت طريقة توزيع الماء بهذا الشكل إلى حدود القرن الثامن عشر، حيث قام كذلك مهندس موريسكي يدعى «كاسطيو» باكتشاف منبع للماء في هضبة قرب حصن يدعى حصن الإمبراطور، في ضواحي المدينة، فقام المهندس

كاسطيو بعرض مشروع إيصال الماء إلى المدينة بواسطة نحو مائة نافورة «السقاية» داخل المدار الحضري، فلقي مشروعه الاستحسان والموافقة من طرف حاكم المدينة، وقد نفذ المشروع فعلا وتم إيصال ضواحي المدينة والتي كان يقطنها الأندلسيون بعدما كانوا يستعملون أواني الفخار «الخوابي» لجلب وادخار الماء.

في القرن السادس عشر، والسابع عشر، كان البحر الأبيض المتوسط عبارة عن حد فاصل بين الإسلام والمسيحية وكانت حركة القرصنة مزدهرة بين الجانبين، ويقول المؤرخون أن الجزائر في هذا العصر اتخذت لأول مرة صفة دولة مستقلة يديرها خير الدين المدعو عند الأوربيين آنذاك «بَارْبَا روخا» أي اللحية الحمراء، وكان معضدا من طرف العثمانيين حتى أنه تسلم من الخليفة العثماني ظهيرا رسميا به خطاب موجه إلى الأندلسيين بالجزائر بتاريخ 16 أبريل 1570 يحثهم فيه على الدفاع عن الإسلام ونورد هنا بعض ما جاء فيه: «بمشيئة الله شرعنا في إرسال قوتنا المنتصرة نحو شواطئكم، فإن هذه القوات نراها ضرورية وهي من الآن على أهبة، وقد وجهنا أيضا أوامرنا الأميرية صارمة إلى حاكمنا بالجزائر ليمدكم بكل ما تحتاجون من إعانة لأنكم برهنتم على إخلاصكم في الدفاع عن الإسلام ولم تتركوا دينكم رغم معارك الكفار التي واجهتكم، فالله يعينكم وقد برهنتم بحضوركم على شجاعتكم».

لقد كان الأندلسيون يشكلون العمود الفقري للجيش الجزائري، وقد كانوا فنيين في الشؤون الحربية وخاصة في سلاح البارود.

وحسب المؤرخين الإسبان فقد كان للأندلسيين تأثير في أوساط الجيش بالجزائر بل حتى خارجها، وخاصة أواسط القرن السابع عشر، ويستدل على هذا بكون حاكم تونس آنذاك استدعى المدعو خاميرو الأندلسي الغرناطي للعمل بمرسى الجزائر وبناء مرفأ عسكري بها. كما كان للأندلسيين دراية كبيرة بميدان القرصنة وكان ذلك في المغرب كذلك وكما أسلفنا الذكر بخصوص مدينة سلا المغربية. وقد كان الأندلسيون خبراء في القرصنة وكذلك الملاحة التجارية، وقد سهل عليهم في ذلك معرفتهم الجيدة بجغرافية الأندلس وأحوال البحر، وكانت مرسى الجزائر هي منطلق القرصنة والتجارة البحرية، وكان بجانب العاصمةمركز «شرشيل» للأغراض البحرية وصناعة السفن، وكان هذا المركز مأهولا بالأندلسيين أكثر من غيرهم، ومنه تنطلق الحملات الجهادية البحرية ضد النصارى في الأبيض المتوسط، وحسب الروايات الإسبانية فجل سكان شرشيل هم أندلسيون من غرناطة وبلنسية ومنطقة أراغون. في الميدان الزراعي، كان للمورسكيين دور كبير في الجزائر، حيث أدخلوا إليها أنواعا كثيرة من الفواكه والبواكر، وكذلك بعض المنتوجات الزراعية الأمريكية الأصل، وأقاموا مزارع عدة بالقرب من المدن قصد مدها بالمواد الغذائية الضرورية وعملوا على سقي تلك المزارع بخبرتهم في هندسة توزيع المياه التي أتوا بها من الأندلس.

لقد كان الموريسكيون في الجزائر ممسكون بجل قطاعات الاقتصاد، وكانوا يتقنون عدة صناعات وكثيراً من الحرف في غاية كبيرة من الجودة والإتقان، فاشتهروا على الخصوص في صناعة

النسيج، والحرير، والزليج والحلي والزرابي، فكان لذلك الوقع الإيجابي على الرواج الاقتصادي بالعاصمة الجزائرية، فقد كان منهم أرباب شركات ومقاولات إلى غير ذلك، وقد انتقلت صناعة الحرير من غرناطة إلى الجزائر وكان الموريسكيون هم المختصون بها، ويقال أنها انتقلت من الجزائر إلى إيطاليا، كما امتهنت هذه الصناعة النساء الموريسكيات المهاجرات إلى الجزائر.

كان الموريسكوس خبراء في الطب والجراحة، فنقلوا خبرتهم إلى الجزائر، ومنهم المدعو «خابيير»، والجراح «غارسيا دياس». فالطبيب خابيير من بلنسية وقبل أن يغادر مدينته بيع، لأن تجارة الرقيق كانت رائجة في القرن السادس عشر وخاصة بين أسرى الحرب أو في عمليات القرصنة. أما الجراح «غارسيا دياس» فأصله من مدينة طليطلة.

كانت الأسر الموريسكية متحدة بينها مؤازرة لبعضها البعض، تمد يد المساعدة لمن أراد أداء فريضة الحج، فرغم وجود صعوبات في أول الأمر للاندماج مع الأسر الجزائرية، تمكنوا من التأقلم، فقد كانت لديهم في أول الأمر بعض العادات التي لم تلق تفهما من طرف الجزائريين الذين كانوا يعتبرونها عادات نصرانية كمسألة ختان الأطفال، التي كان بعض الموريسكيين يخشون القيام بها، رغم كونهم وكما قال حجي خليفة كانوا يقومون بشعائرهم الدينية الإسلامية على ما يرام، ويشيدون المساجد والحمامات ويؤدون المناسك كلها على أحسن وجه.

الموريسكوس في تونس

لم تكن هجرة الموريسكوس إلى تونس بنفس الكثافة التي كانت عليها في اتجاه المغرب والجزائر، وكان هذا الأمر راجع إلى عدة عوامل :

1- لم يكن أمر إقامة دولة موريسكية هينا بتونس، بسبب الهجمات المتكررة للبحرية الإسبانية على شواطئها، وكانت الدولة التركية عاجزة عن صدها نظرا للهزيمة التي منيت بها البحرية التركية مع نظيرتها الإسبانية في معركة «لبانطو» عام 1572 قرب جزر البليار.

2- قرب المسافة بين الأندلس والمغرب والجزائر جعل الموريسكيين يتقاطرون بكثرة على هذين القطرين، خاصة بعد حرب البوشرات عام 1568 [1]، والتي انهزم فيها الموريسكوس.

3- لم يتقبل التونسيون آنذاك الموريسكيين الوافدين على بلادهم بسهولة، فقد كانت عاداتهم ومظهرهم أقرب إلى النصارى منه إلى المسلمين، فكيف لا وقد عايشهم طوال قرن ونيف من الزمن، الشيء الذي جعل التونسيين يرفضونهم، بخلاف الموريسكيين الذين دخلوا إلى تونس قادمين إليها من الجزائر والمغرب، فقد كانت أحوالهم لا تختلف عن أحوال أهالي هذين القطرين نظرا للمدة الطويلة التي قضوها بين ظهرانيهم، وكان هؤلاء هم الموريسكيون الأوائل الذين هاجروا من الأندلس بعد

1- محنة الموريسكوس في إسبانيا للمؤلف.

سقوط غرناطة، فكونوا جيلا أو جيلين بالجزائر والمغرب، فكان التونسيون ينظرون إليهم على أنهم مغاربة أو جزائريون.

4- كان للنفوذ العثماني بتونس نظرة خاصة عن الموريسكيين ولم تكن تونس تتمتع باستقلالية في التصرف كما كان الشأن في المغرب، بل حتى في الجزائر التي كان للداي نوع من الحرية، وكان يتصرف دون تفويض من إسطانبول في كثير من الحالات.

كانت هذه نظرة مقتضبة عن الأسباب التي كان لها تأثير سلبي على إقامة الموريسكوس في تونس، من حيث العدد.

كانت هجرة الموريسكوس إلى تونس تتم غالبا عبر مدينة مارسيليا بفرنسا، وقد كان تجار من الموريسكوس أنفسهم يتعاطون لتجارة رحلات الموريسكوس من مرسى مارسيليا إلى تونس ويكون هذا غالبا في بواخر فرنسية لتجنب أعمال القرصنة، ومن بين من اشتهروا في هذه التجارة المدعو «خيرونيمو أزيكس»، وهو موريسكي من مقاطعة أراغون بإسبانيا، كان يقيم بمارسيليا ويؤمن رحلات الموريسكوس من إسبانيا إلى فرنسا عبر البر ومن فرنسا إلى تونس عبر بواخر فرنسية. وكان لهذا الموريسكي علاقات مع العثمانيين الذين كانوا يتفاوضون مع فرنسا وفينيسيا قصد السماح للموريسكوس المرور من أراضيهم إلى بعض الدول الإسلامية.

كان الحكام الأتراك بتونس قساة، لكنهم بالمقابل متساهلين مع الموريسكيين كإعفاء مراكبهم من الأتاوات. ومنحهم تسهيلات في السكن. وكان رجال الدين بتونس يهيبون بالناس بأن يعاملوا

الموريسكوس معاملة الأخوة. وكان الموريسكيون يصطدمون ببعض العقبات كجهلهم للغة العربية خاصة عند أدائهم لشعائرهم الدينية، كالصلاة.

إذا كان الموريسكوس قد اندمجوا في المجتمع التونسي، فإنهم لم يفقدوا عوائدهم الإسبانية التي كانت لا تخلو من بعض الطقوس المسيحية لكونهم كانوا قد تعايشوا مع النصارى لمدة طويلة تربو عن القرن ونيف من الزمان، من سقوط غرناطة إلى أواخر أيامهم في القرن السابع عشر. ورغم ذلك التضارب في العوائد والتقاليد، استطاعوا أن يتكيفوا مع الوسط الجديد في تونس آنذاك والذي كان مزيجا من العوائد العربية والتركية.

وقد ورد عن المؤرخين الإسبان أن أغلب الموريسكيين الذين هاجروا إلى تونس كانوا ينتمون إلي نواحي أراغون، وكاطالونيا، وقشتالة، وكان جلهم لا يعرفون العربية، فقد كان العهد متقادما بينهم وبين لغتهم الأصلية، بسبب عيشهم بين ظهران النصارى لأزيد من قرن من الزمن، وتوجد بتونس مخطوطات موريسكية باللغة الرومانسية (وهي إسبانية ذلك العصر) حسب قول المؤرخ أليفر أسين Oliver Asin [1].

لقد كان جل الموريسكوس القادمين إلى تونس لا يعرفون اللغة العربية لأنهم كانوا من الأواخر الذين بقوا في إسبانيا مختفين متظاهرين بالمسيحية وخاصة في أواخر القرن السابع

1- أليفير أسين هو حفيد المستشرق أسين بلاسيوس Asin Palacios وكان أليفير صديقا لي عندما كان يدرس الأدب الإسباني بمعهد الراميرو دي مايسطو بمدريد، وكنت أدرس بنفس المعهد.

عشر. وكان من ضمن هؤلاء من كان أصلهم من قشتالة وقد بقوا بها مدة طويلة، وكان يطلق عليهم لقب «المدجنون»[1] "Almodajares". وكان المدجنون لا يعرفون إلا اللغة الإسبانية بسبب طول مدة خضوعهم لحكومة النصارى لعدة قرون قبل سقوط غرناطة بل حتى الذين اكنوا من أصل غرناطي كانوا قد ضيعوا اللغة العربية وصاروا يجهلون معرفتها وخاصة في أواسط القرن السادس عشر، إلا النادر منهم والذين كانوا يتكلمون العربية بصعوبة وبصيغة مشوهة، وقد بقي هؤلاء يكتبون في تونس بالإسبانية (الرومانسي)، وسمح لهم بذلك من قبل المسؤولين حتى أنه قد عثر على بعض المخطوطات في هذا الشأن حسب بعض الباحثين الإسبان أمثال أليفيراس Oliveras وأنريكي كاليس وغيرهم، وجل ما عثر عليه يتناول مواضيع دينية، وشعرية، واجتماعية، وأخلاقية. ولكن هذه اللغة لم تعمر طويلا بين المهاجرين في تونس حيث أتى جيل جديد معرب، كما أن السلطات التونسية عملت على إغلاق مدارس الموريسكوس التي تدرس فيها اللغة الإسبانية، وأمرتهم بتعليم اللغة العربية لأبنائهم، وقد كانوا من قبل يدرسون جميع المواد باللغة الإسبانية بما في ذلك تاريخ تونس، فقاموا بترجمة كل ذلك إلى العربية، وقد ساعدهم في ذلك موريسكي يدعى «محمد كورال».

لقد هم نشاط الموريسكوس في تونس جل ميادين الحياة منها الاقتصادية والفنية، والعسكرية، وغيرها.

1- انظر كتاب للمؤلف تحت عنوان «تأثير الفن العربي المدجن في حياة الإسبان».

ففي الميدان العسكري، ساهموا في ازدهار صناعة السفن المستعملة في مجال القرصنة، كما قاموا بتكوين فرق عسكرية «ميليشيات»، وكذلك خبراء في المدفعية.

أما المجال الثقافي فقد عرف في أيامهم ازدهارا كبيرا، لكونهم أتوا بثقافة إيبيرية ساهمت في النهضة الثقافية آنذاك في عصر العثمانيين.

وساهموا كذلك في الميدان الاقتصادي الذي ازدهر بفضل اتصالهم بإسبانيا، كما لا ننسى الميدان الصناعي الذين كان لهم فضل كبير فيه خاصة مع الموجة الكبرى لمهاجريهم في القرن السابع عشر. وقد كان من بين الموريسكيين تجار حملوا معهم أموالهم فوظفوها في تونس، ومن بين هؤلاء «مصطفى دي كارديناس» الذي كان يترأس مجموعة من المهاجرين وأحد وجهائها، ومن الموريسكوس من تولى وزارة الاقتصاد. ومما اشتهر به الموريسكوس الصناعات اليدوية التي أتوا بها من الأندلس سواء في الجلد أو الخشب أو النحاس إلى غير ذلك من المواد، كما تفننوا في صناعة ما يسمى بالشاشية المشهورة بشمال إفريقيا خاصة بالمغرب وتونس. وكان من بين الموريسكيين في تونس شعراء وكتابا نذكر من بينهم المسمى «عبد الرزاق كاراباكا»، كما ترك الموريسكوس بتونس آثاراً مهمة في فن البناء والزخرفة في الفسيفساء، وأتقنوا كذلك صناعة النسيج وخاصة الحرير على يد النساء الموريسكيات.

أما الزراعة فقد ساهموا في ازدهارها بحظ وفير وذلك لإتقانهم ودرايتهم الكبيرة بميدان ري الأراضي، وقد تعاطوا

كذلك لتجارة الجلود التي كانوا يأخذونها من الماشية التي كانوا يربونها في الأراضي الفلاحية، وقد كانت هذه التجارة في يد اليهود التونسيين، وقد قام الموريسكيون ببناء الحصون العسكرية، وعبدوا الطرق بالأحجار حتى يمكن للعربات السير بسهولة. وشيد الموريسكوس المساجد ومن بينها المسجد الشهير بمدينة توستور، وكذلك مسجد سليمان الذي يحتوي على كتابات موريسكية فوق جدرانه وقد بني في عصر وصول الموريسكوس إلى تونس.

الموريسكوس في تركيا وأوربا الشرقية

لم تقتصر هجرة الموريسكوس على بلدان شمال إفريقيا بل شملت كذلك أقطارا أخرى إسلامية وغير إسلامية وخاصة أثناء الطرد الكبير للموريسكوس بين سنتي 1609 و1614 حيث كانت جحافل من الموريسكيين تغادر إسبانيا مستعملة مختلف الطرق والوسائل، وبما أن عددا كبيرا منهم كان قد استقر بالمغرب، كان على المتأخرين منهم أن يبحثوا على ملجإ آخر غير شمال إفريقيا، لذلك توجهوا إلى البلاد التي كانت تحت نفوذ العثمانيين ليكونوا في مأمن من كل سوء قد يأتي من عدوهم نظرا لعظمة الدولة العثمانية آنذاك. فشد الموريسكوس الرحال إذاً إلى تركيا وأراضي البلقان التي كانت ولاية عثمانية حيث كانت توجد مدن وقرى زاهرة ومأهولة بالمسلمين، فوجد الموريسكوس بها أمنا وطمأنينة، بينما كان من هاجر منهم إلى الشمال الإفريقي معرضين لبعض المتاعب وخاصة من أقام قرب الشواطئ التي كان بعضها محتلا بأعدائهم من إسبان وبرتغاليين.

كان المسلمون في الأندلس أيام حربهم ضد النصارى، يعلقون آمالا كبيرة على العثمانيين في مساعدتهم في كفاحهم بالأندلس، وخاصة مملكة غرناطة وذلك بعد انتصار العثمانيين على البزنطيين واحتلالهم للقسطنطينية عام 1453 على يد محمد الفاتح. وكان العثمانيون يعتمدون على الموريسكوس في ميدان التجسس على الإسبان سيما وأن تركيا وإسبانيا كانتا قويتين في ذلك العصر، الأولى في الشرق، والثانية في الغرب، وكان الصراع

بينهما على أشده، وقد وقعت معارك كبيرة بينهما وخاصة في البحر. ومنها المعركة التي حدثت أيام كارلوس الخامس قرب الجزائر العاصمة عام 1541، كما قامت تركيا بمساعدة مجاهدي الأندلس سنة 1570 في حرب البوشرات التي تزعمها فرناندو دي ڤالور (محمد ابن أمية)[1]، لكن مساعدة تركيا للموريسكوس لم تكن بالشكل الذي يمكن أن يقلب موازين القوى لصالحهم، وبالتالي لم تحقق النتائج التي كانت متوخاة من مساندة العثمانيين.

ساعد الأتراك الموريسكيين على الإقامة بإمبراطوريتهم ماديا ومعنويا حيث منحوهم حرية العمل والتنقل، وقد جعل الموريسكوس إسطامبول طريقا للهجرة إلى داخل أوربا كفرنسا وإيطاليا.

وقد قام الموريسكوس في بعض الأحيان بإيفاد بعثة منهم لبعض ملوك أوربا يستعطفونهم للسماح لهم بالمرور بأرضهم ومن هؤلاء الملوك : جاكوب الأول ملك إنجلترا وإرلاندا وأسكوتلندا، والوصية على عرش فرنسا ماريا دي مرثديس.

وقد قام الأميرال العثماني جليل باشا بزيارة للمغرب للتفاوض مع المسؤولين حول موضوع الموريسكوس، كما قامت بعثة برئاسة علي سليمان بزيارة لبلغراد فاستقبلها الوزير مراد باشا وبحثا موضوع هجرة الموريسكوس في اتجاه بلاد البلقان التي كانت تحت النفوذ العثماني.

1- انظر كتاب «محنة الموريسكوس في إسبانيا» للمؤلف.

وهكذا فقد نزح كثير من الموريسكيين إلى تركيا حيث منحتهم الدولة العثمانية أراضي للإقامة وكذلك من أجل الفلاحة، فأسسوا قرى ازدهرت فيها الحركة التجارية والاقتصادية والفلاحية، إلا أن دور الموريسكوس لم يكن أساسيا في أراضي البلقان وتركيا كما كان الشأن في شمال إفريقيا حيث لعبوا دورا طلائعيا في شتى الميادين، أما في البلقان وتركيا فقد اكتفوا بالعمل الفلاحي والتجاري وكذلك السمسرة بين أوربا والشرق مبتعدين كل البعد عن العمل السياسي.

الموريسكوس في أمريكا

بعد سقوط غرناطة، وسيطرة النصارى على بلاد الأندلس كلها ونقضهم العهد اتجاه المسلمين، اضطر هؤلاء للهجرة إلى خارج إسبانيا، فبعد أن تطرقنا لهجرتهم للمغرب العربي، وبلاد البلقان وتركيا، نلقي في هذه الفقرة نظرة جد موجزة على وجهة أخرى قصدها الموريسكوس وهي أمريكا وخاصة أمريكا الوسطى والجنوبية التي كان الإسبان والبرتغال مسيطرين عليها مباشرة بعد اكتشاف العالم الجديد من طرف كرتسبال كلون عام 1492 (وهي سنة سقوط غرناطة).

فبعد هذا الاكتشاف اضطر المكتشفون إلى تعمير الأرض الجديدة وذلك لكون السكان الأصليين لم يتأقلموا مع المكتشفين، ولم يقبلوهم لأنهم كانوا بعيدين عنهم في كل شيء، وكانوا يرونهم أعداء لهم. فاضطر المعمرون لجلب اليد العاملة من خارج

أمريكا، فاستغل الموريسكوس هذه الفرصة، وصاروا يغادرون وطنهم تحت ستر نشر المسيحية مع المسيحيين ظاهريا، أما غرضهم الأساسي فكان هو الهروب من رقابة محاكم التفتيش.

استقر الموريسكوس بالعالم الجديد وساهموا في تعميره وازدهاره بخبرتهم في إصلاح الأراضي وزراعتها، ففي القرنين السادس والسابع عشر ذهب عديد من المهاجرين إلى المستعمرات الإسبانية بالمكسيك وبوليفيا وكلومبيا وكواتمالا وكوبا وكان هؤلاء المهاجرين متعددي المهن والحرف من مزارعين وبنائين ونجارين، فحملوا معهم فنهم وعملهم وتركوا في تلك الديار بصمات في البناء والزخرفة والنقش على الخشب والحديد، ولا زالت إلى يومنا هذا بنايات في عدة أماكن من دول أمريكا تشهد على تأثير فن الموريسكوس، وتوجد بعض آثار هذا في بعض ولايات أمريكا الشمالية كفلوريدا وكاليفورنيا اللتان كانتا تابعتين لإسبانيا فيما قبل.

وقد ذكر الباحث الأمريكي ييرفنك[1] في نشرة دورية يصدرها عن آثار الموريسكوس أو المدجنين بأمريكا، يقول الدكتور ارفينك في نشرته تحت عنوان «الفن المدجن بأمريكا» : أن الفن المدجن هو ثمرة المهن الإسلامية المتبقية في قرى الوسط والشمال الشرقي لإسبانيا وعلى الخصوص المهن التقليدية بعد المد المسيحي على هذه المناطق حيث اضطر العديد من المهنيين في

1- يرفينك هو من أصل كندي وجنسيته أمريكية، أستاذ باحث في عدة جامعات أمريكية - أسلم هو وزوجته، ويصدر نشرات دورية يعرف فيها بآثار الموريسكوس بأمريكا، وهو مؤسس لمسجد بأمريكا، تعرفت عليه بالرباط بواسطة منظمة الإيسيسكو.

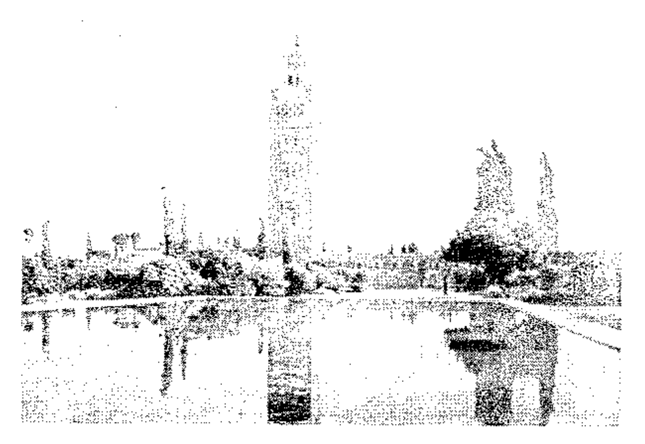
القرنين السادس والسابع عشر إلى الهجرة للمستعمرات الإسبانية مثل المكسيك، والبيرو العليا (بوليفيا حاليا) وغرناطة الجديدة (كولومبيا الجديدة) وكواتيمالا وكوبا. ففي هذه المناطق كانت التركيبة الاستعمارية قد حملت معها مكونات الفن المدجن سواء في الحديد أو الخشب إلى غير ذلك.

وقد تطرق إلى هذا الموضوع كذلك المؤرخ المكسيكي مانوال توسان في كتابه : «الفن المدجن بأمريكا 1946» وقد استمر هذا التأثير حتى يومنا هذا حيث يبدو جليا في الأسواق المركزية والبنايات العمومية وداخل بعض دور السينما التي أنشأت في أوائل القرن العشرين.

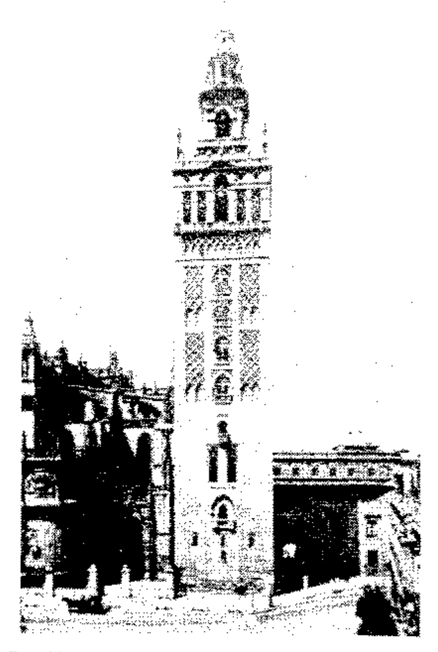
لا شك إذاً أن موضوعا كهذا يستحق عناية كبيرة حتى يتم العثور على وثائق ومخطوطات تبرز أهمية تأثير الموريسكوس في هذا الجزء من الأرض.

صور تبين تأثير الموريسكوس عبر القارة الأمريكية

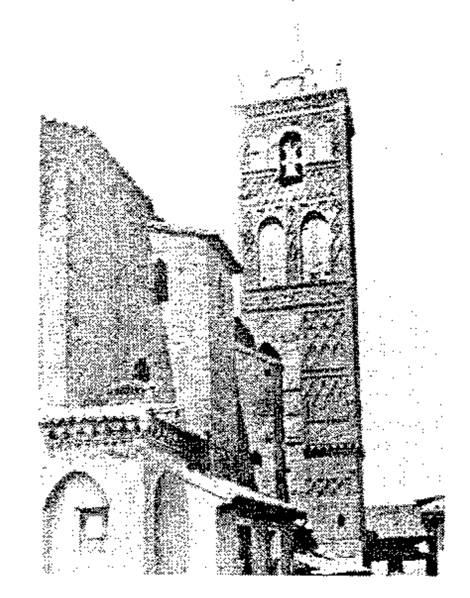
المصدر: كتاب
حرف الفن المدجن بأمريكا
للباحث الأمريكي المسلم
طوماس ارفينغ



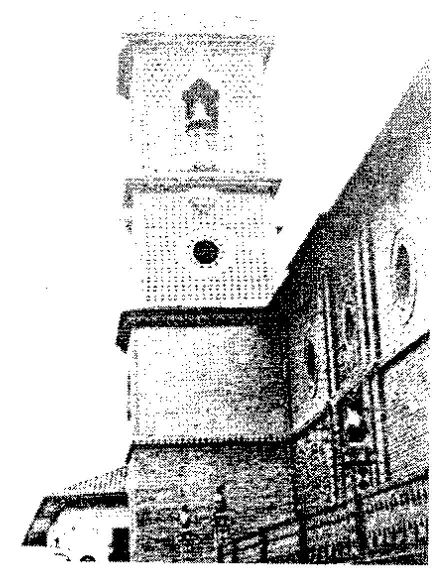
Alminar de la Kutubiyya
Siglo XII
Marrākush, Marruecos



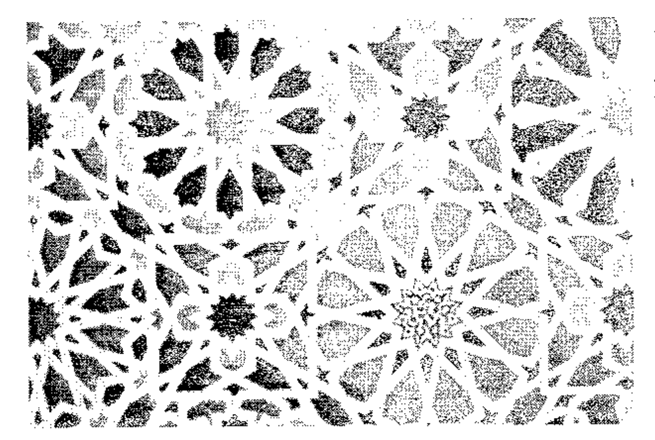
La Giralda
Alminar de la Mezquita Muwaḥḥid (o "Almóhade")
Siglo XII
Sevilla, España



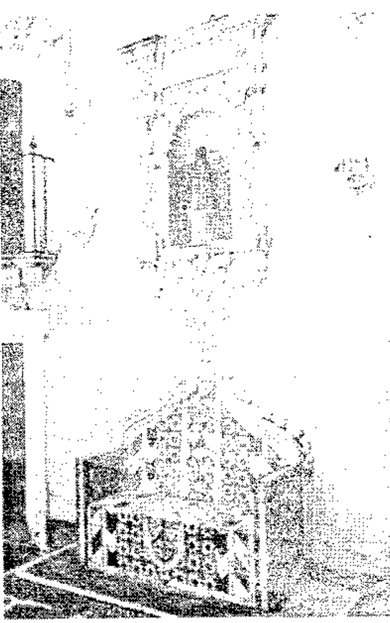
Torre de San Gil
Zaragoza, España



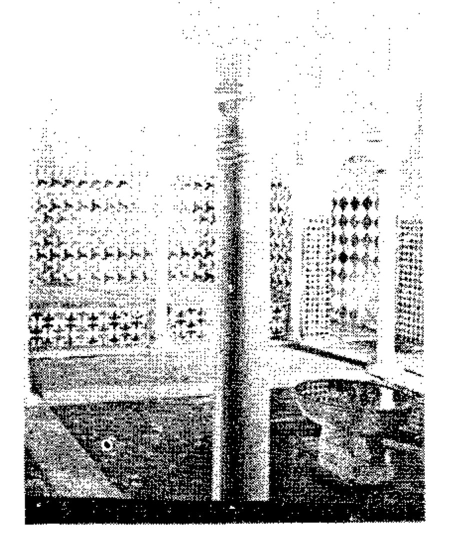
Una torre mudéjar
Iglesia de San Francisco
Cali, Colombia



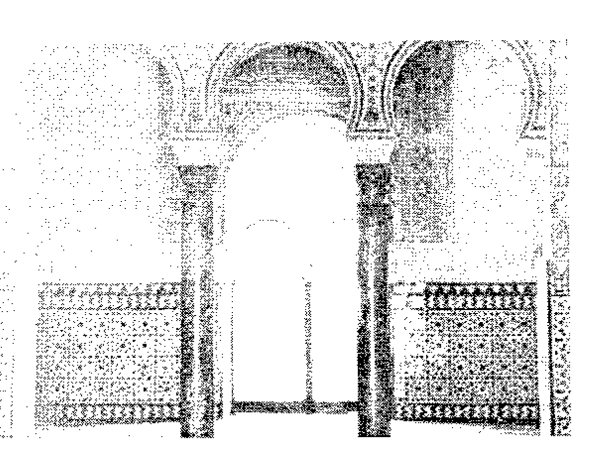
La Alhambra
Azulejos (cerámicos)
Granada, España



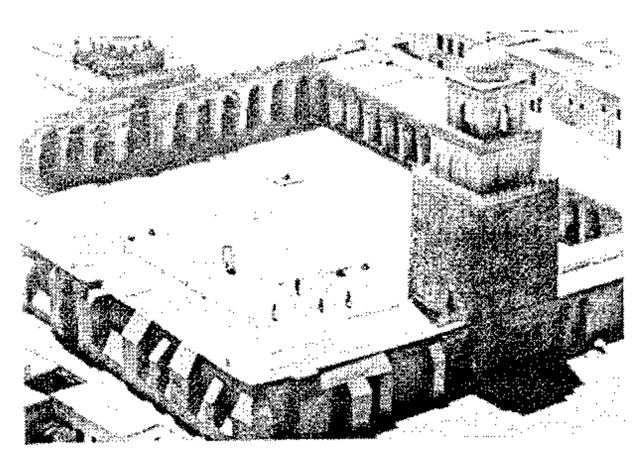
Banca
Trabajo cerámico
México



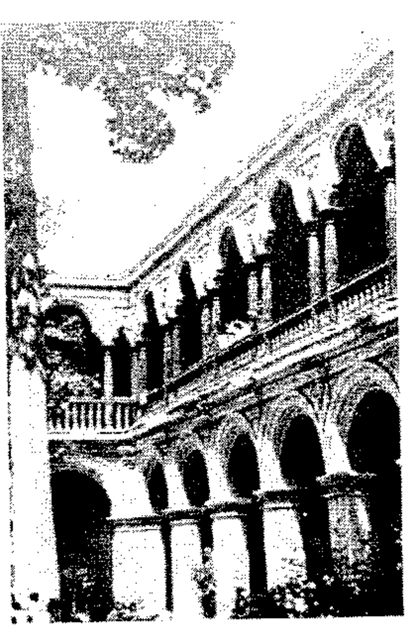
Los Baños Reales
Trabajo cerámico
La Alhambra
Granada, España



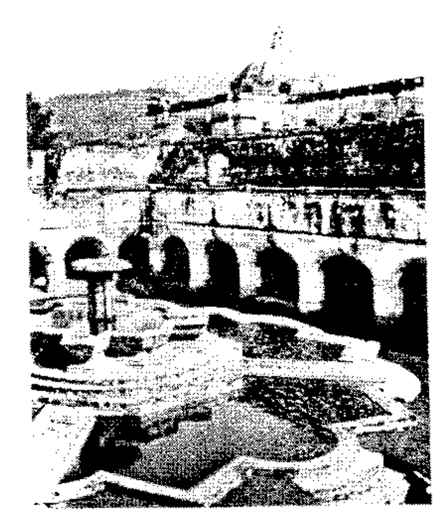
La Alhambra
Pared con Mosaicos en el
Salón de los Embajadores
Granada, España



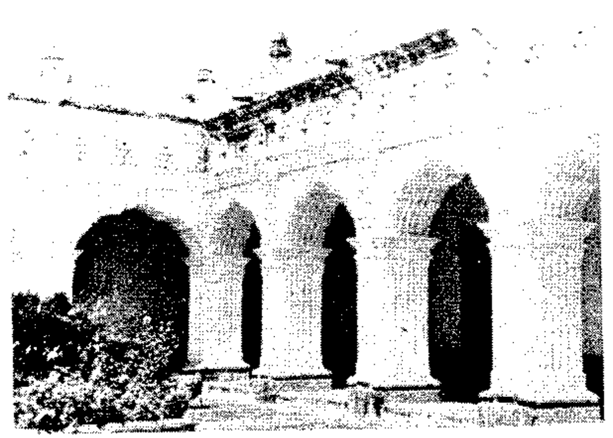
La Gran Mezquita de ᶜUqba ibn-Nāfiᶜ
Patio y Alminar
Siglo VIII
Qayrawán, Tunisia



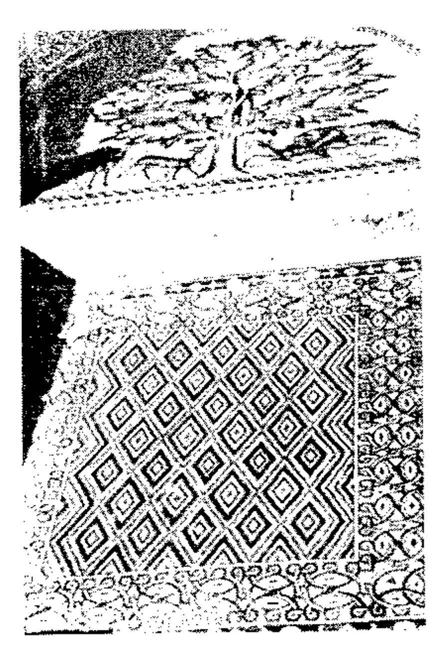
Claustro de la Merced
Lima, Perú



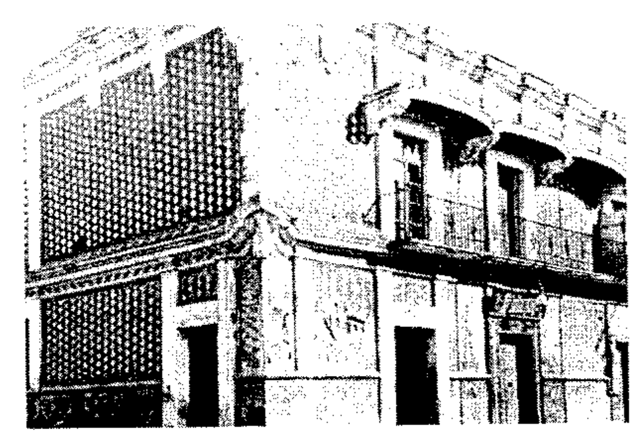
Convento de la Merced
Fuente Mudéjar
Antigua, Guatemala



Claustro de la Universidad de San Carlos colonial
Mediados del Siglo XVIII
(hoy Museo Colonial)
Antigua, Guatemala



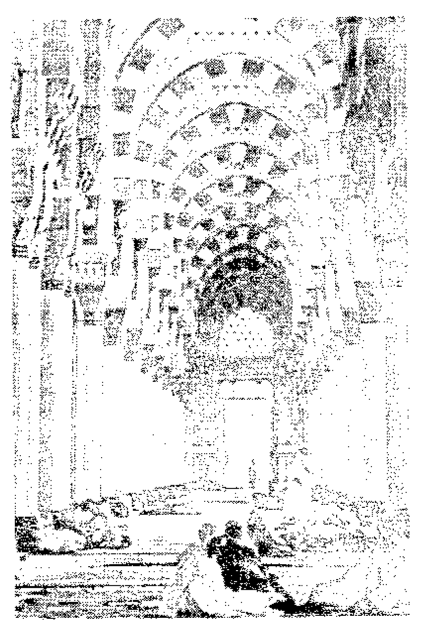
Piso en mosaicos en el
Salón de los Embajadores
Siglo VIII
Jirbet al-Mafdchar, Siria



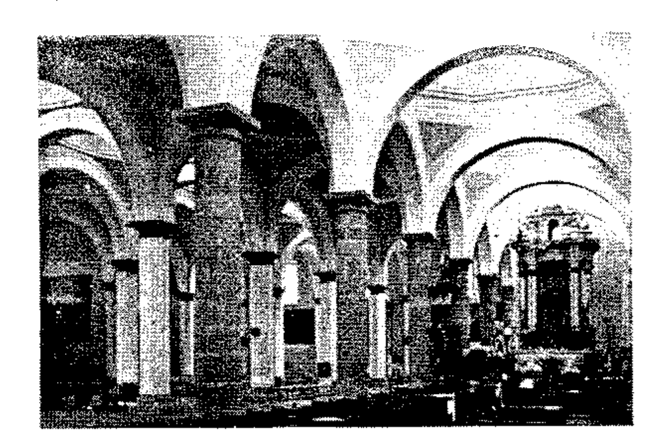
Casa de Alfeñique
(cubierta de azulejos)
Siglo XVIII
Puebla, México



La Gran Mezquita de Córdoba, Interior
(Obra de ^{c}Abdurrahmān I^{ro})
Siglo VIII
Córdoba, España



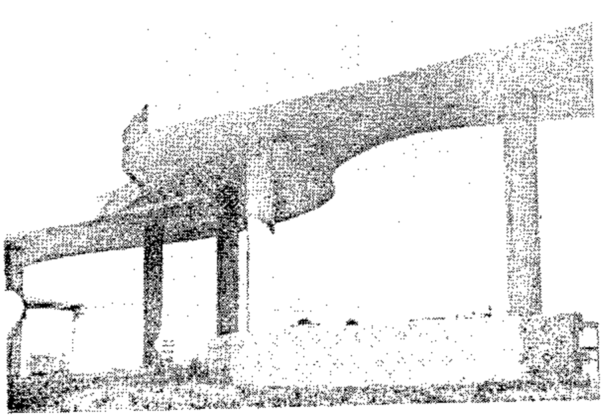
La Cúpula Verde del Profeta
Anexo Contemporáneo
Siglo XX
Madina, Arabia Saudita



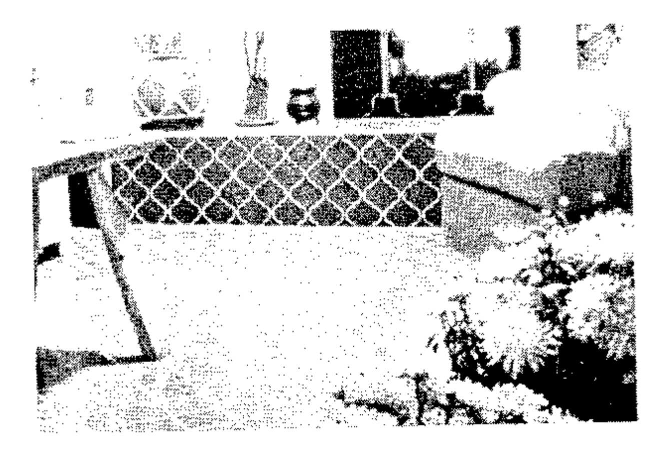
La Capilla Real
Siglo XVI
Cholula, Pue., México



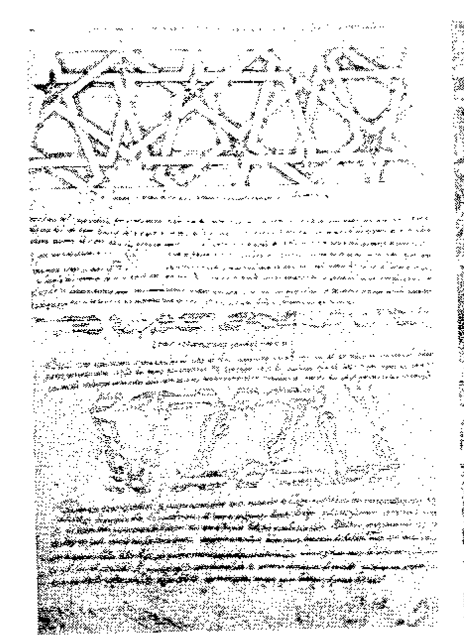
Casa de los Azulejos "Sanborn's"
Siglo XVIII
México, D.F.



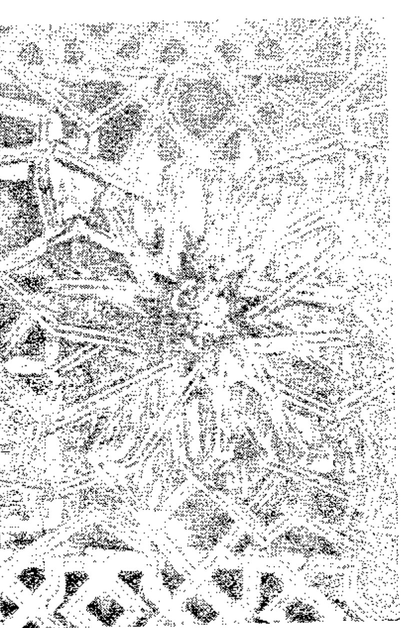
Trabajo cerámico (Siglo XX)
Centro para Recreos
Pampulha, Minas Geraes
Brasil



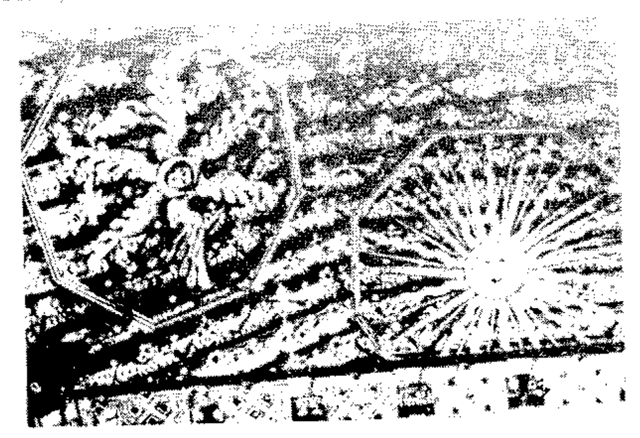
Hogar Contemporáneo
Piso y Revestimiento con Baldosas
Estados Unidos



Una página de la *Carpintería Mudéjar*
de Fray Andrés de San Miguel
Biblioteca de la Universidad de Texas
Austin, Texas, EE. UU.



Artesonado o Techumbre
Siglo XVII
Tzintzuntzán, Michoacán, México



Artesonado o Techumbre en Madera
Siglo XVII
Tunja, Colombia

فهرس الكتاب

صفحة

المراجع

1- ألمرية الموريسكية ALMERIA MORISCA
المؤلف: نيكولاس كابريانا NICOLAS CABRIANA
جامعة غرناطة - 1989

2- موريسكوس مملكة غرناطة
LOS MORISCOS DEL REINO DE GRANADA
المؤلف: خوليو كارو باروخا JULIO CARO BAROJA
Editi - Istmi 1991

3- مجلة مجمع الأبحاث بغرناطة رقم 5 - العصر الثاني
REVISTA DEL CENTRO DE ESTUDIOS HISTÓRICOS
DE GRANADA Y SU REINO
1991

4- مدجنو قشتالة LOS MUDEJARES DE CASTILLA
المؤلف: ميكيل أنخيل لا ديرو كيسادا
MIGUEL ANGEL LADERO QUSADA
جامعة غرناطة 1989

5- دون كيخوطي دي لا مانشا
DON QUIJOTE DE LA MANCHA
المؤلف: ميكيل دي سيرفانطيس سافيدرا

MIGUEL DE CERVANTES SAAVEDRA

الجزء الثاني 1958

6- الحياة الدينية للموريسكوس

VIDA RELIGIOSA DE LOS MORISCOS

المؤلف: بيدرو لونكاس PEDRO LONGAS

1915

7- المدن الإسبانية المسلمة CUIDADES HISPANO-ISLAMICA

المؤلف: ليوبولدو طوريس بالباس

LEOPOLDO TORRES BALBAS

8- الموريسكوس قبل وبعد الطرد

LOS MORISCOS ANTES Y DESPUES DE L

EXPULSIÓN

المؤلف: ميكيل دي إيسبالزا MIKEL DE ESPALZA

1992

9- المنظري الغرناطي مؤسس تطوان

AL MANDRI EL GRÁNADINO FUNDADOR DE

TETUAN

المؤلف: غييرمو غوسالبيس بوسطو

GUILLERMO GOSALBES BUSTO

الطبعة الثانية 1993

10- القصر الكبير 1950

AL CAZARQUIVIR 1950

معهد الجنرال فرانكو Instituto General Franco

1953

11- المخطوط القرمزي

المؤلف: أنطونيو گالا ANTONIO GALA

1996

12- حرف الفن المدجن بأمريكا

LA ARTESANIA MUDEJAR EN LAS AMERICAS

المؤلف: طوماس ارفينغ THOMAS IRVING

الولايات المتحدة 1992

13- مذكرة عن الملك سيباستيان

ITINERARIO DE EL REI DON SEBASTIAN

المؤلف: خواكيم فريسيمو سيراو

JOAQUIM VERISSIMO SERRÁO

.1963

14- تاريخ البرتغال HISTORIA DE PORTUGAL

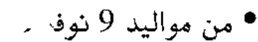
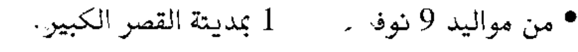
المؤلف: ألفيرا ماركيس OLIVERA MARQUES

صدر للمؤلف

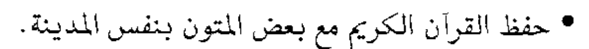
- محنة الموريسكوس بإسبانيا
  الطبعة الأولى سنة 1980
- تأثير الفن العربي المدجن في حياة الإسبان
  سنة 1989
- محنة الموريسكوس بإسبانيا
  الطبعة الثانية سنة 999
- للمؤلف أبحاث أخرى تحت الطبع




مـه قشتيليو

- من مواليد 9 نوفـ ـ 1 بمدينة القصر الكبير.



- حفظ القرآن الكريم مع بعض المتون بنفس المدينة.
- في عام 1937 انتقل إلى تطوان والتحق بالمعهد الحر الثانوي.
- حاصل على دبلوم مدرسة المعلمين بتطوان.
- في عام 1940 عين مدرسا مشرفا على البعثة الطلابية المغربية بمدريد المرافقة لمولاي المهدي نجل خليفة السلطان بشمال المملكة آنذاك.
- عمل أستاذا للغة العربية بكلية الآداب والفلسفة بجامعة مدريد المركزية لمدة عشر سنوات.
- باحث في التراث العربي الأندلسي بمكتبات إسبانيا بتعيين من الدوائر الرسمية الثقافية بتطوان. نشر عدة مقالات في الموضوع في عدة صحف ومجلات.
- عند استقلال المغرب عين قائدا لقبيلة بني سعيد بعمالة تطوان.
- في سنة 1958 التحق بوزارة الشؤون الخارجية.
- في سنة 1959 عين قنصلا للمغرب بمدينة الجزيرة الخضراء.
- في سنة 1960 عين قنصلا للمغرب بمدريد.
- في سنة 1965 عين قنصلا بمدينة سيدي بلعباس بالجزائر.
- في سنة 1967 عين مكلفا بالشؤون القنصلية بسفارة المغرب بالمملكة العربية السعودية.
- في سنة 1968 حصل على وسام الرضى من الدرجة الأولى.
- في سنة 1969 عين سكرتيرا بسفارة المغرب بالبرازيل ثم قائما بالأعمال بنفس السفارة. وفي سنة 1974 عين مستشارا بسفارة المغرب بالبرتغال.

منتديات أهل الحديث في تطوان

مطابع الشويخ هاتف/فاكس: 09 50 96 039 تطوان